الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي بن مهيدي

أم البواقي

كلية الآداب واللّغات

قسم اللّغة العربية وآدابها

رسائل النّبي صلّى الله عليه وسلّم بين الوظيفة التّبليغية والوظيفة الجماليّة

رسالته إلى هرقل قيصر الروم–أنموذجا–دراسة أسلوبيّة

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللّغة والأدب العربي، مسار أدب قديم

إعداد الطالبة:

سمية هبابشة

إشراف الأستاذ (ة):

د. رزيقة طاوطاو

السنة الجامعية

1434–1435هـ

2013–2014م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلي علّة كياني... و سندي في الحياة أمّي الفاضلة.

إلي منبع فخري... و قدوتي إلي قرّة عيني والدي الغالي.

إلي من قاسموني حنان الوالدين إخوتي الأعزاء:يوسف الحبيب وسولاف وأسامة و يحيى الملك.

إلى عزيزي الغالي محمود لخيار وأخي المحترم مالك بوسكين

إلي من وجدت فيهنّ الحب و المساندة حبيباتي:أمال خوني، و خليدة بن دايرة، و حمدي حياة، و شهيناز، و الأميرة ابتهال حفظها اللّه.

إلي زميلاتي فوزية، ياسمين، ليلى.

إلى كلّ من أعزته نفسي و أحبّه قلبي و لم يذكره قلمي أهدي له ثمرة جهدي.

شكر وعرفان

الحمد للّه الذّي أنطق لسان الإنسان، أحمده على حلمه بعد علمه وعلى عفوه بعد قدرته، والصّلاة والسّلام على من تبوّأ من الفصاحة ذروتها، واقتّد من البلاغة مكان صهوتها، وعلى آله الطيّبين، أمّا بعد:

أتوجّه بجزيل الشّكروالعرفان والإمتنان إلى الأستاذة الفاضلة –رزيقة طاوطاو-التّي أعانتني على إنجاز هذا البحث، والتّي تتبّعت خطواتي واحدة تلوالأخرى،ولم تبخل عليّ بأيّ معلومة ولا مساعدة، جزاها الله خيرا، وإلى جميع الأساتذة المناقشين.

كما أتوّجه بالشّكر لجامعتي التّي جادت عليّ وعلى طلاّب العلم بالرّعاية والإهتمام، وأخصّ بالذّكر أعضاء المكتبة، وأعضاء الهيئة التدريسيّة بقسم اللّغة العربيّة وآدابها.

وأتقدّم بالشّكر الجزيل إلي مدير مكتبة البلدّية بعين مليلة، وكل المسؤولين العاملين بها وخاصّة جلال ريحاني، الذّي كان فضله كبيرا في إتمام هذا البّحث المتواضع.

مقدمة

مقدمة:

احتلّ الخطاب الشّعري مكانة جليلة في نفوس الأدباء باعتباره فنّ العربيّة الأوّل، وفنّا أدبيا ذا قيمة لا تنسى ولا تجحد.

وبمجيئ الإسلام انقلبت الأوضاع، التّي ساعدت على تشكيل مجتمع جديد، رسم قيما أخلاقية وروحية، ينبوعها الإسلام، تفجّرت روافده لتشمل الجانب العقلي والفكري للأمّة العربيّة، انعكس ذلك بالدّرجة الأولى على اللّغة والأدب، وظهرت فنون لم تكن شائعة في العصر الجاهلي واحتلت الصدارة من حيث الكمال الفنّي، والجمالية العالية، تجلّت هذه الأخيرة في أسلوب الرّسائل والأخبار التّي انصب فنّها في بوتقه تبليغ الأفكار في تعابير موجزة تبتعد عن التّنميق والتّعقيد، المقدّمة على قدر الكاتب والمكتوب إليه، وخير من مثّل هذا الجانب سيّد الرّسل الذّي خصّ السّعادة الأبدية لمقتفي آثاره وحكمه صلّى الله عليه وسلّم، حيث تعدّ رسائله صورة صادقة امتازت بخصائص اعتبرت في مجموعها ضربا من إعجاز بلاغته في الأداء، وسنّة سنّها المقدمون والمحدثون.

من هنا برز شعور وقناعة لدينا دفعتها الرّغبة الملّحة بواجب الإطّلاع على فنّ الرّسالة وخاصّة رسالته صلى الله عليه وسلّم، ونفض الغبار عن هذا التّراث النّثري، الذّي أعجز بلغاء العرب ومن والاهم، والكشف عن التّجليات الجماليّة الكامنة فيها من جهة، ومن جهة أخرى أنّ هذا الموضوع قد تناولته قلّة قليلة من الباحثين ولم يكن حظّ الرّسالة النّبوية من الدّراسة والتّحليل إلاّ بعض الدّراسات التّي جاءت مرفقة في القليل من الكتب، وقد انصبّ اهتمامها بشكل أساسي على الجوانب التّاريخية والسّياسية، ولم تلق نصوصه صلّى الله عليه وسلّم حظّها من حيث الدّراسة والتّحليل وذلك في تقديرنا.

وقد قادتناهذه الرّغبة إلى طرح جملة من التّساؤلات سنحاول الإجابة عنها، والمتمثّلة فيمايلي:

- ما مفهوم الرّسالة؟ وفيم تجلّت مظاهرها؟
- فيم تمكن جمالية اللّغة والأسلوب في رسالة النبّي صلّى الله عليه وسلّم؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات ارتأينا أن تكون خطّة بحثنا على النّحو التّالي:

- مقدمة مدخل وفصلين وخاتمة جمعت فيها أهم النتائج المحصل عليها.
- فأمّا المقدمة كانت أرضية لهذا البحث المتواضع.
- المدخل عتبة تمهيدية عنوناه بـ مفاهيم الرّسالة تطوّرها ما بين الجاهلية والإسلام وصفتها الجمالية.

والفصل الأول: كان عنوانه – الوظيفة التّبليغية لرسالة النّبي صلّى الله عليه وسلّم استهلّيناه بمدخل، ثم تليه أهم الصّور التّي تجلّت فيها رسالة النّبي صلّى الله عليه وسلّم.

لنصل إلى آخر فصل، والذّي خصّص لدراسة تجلّيات جمالية النّص الترسّلي. ومن هذا كان علينا اتّباع نوع من الدّراسة الأسلوبية المسايرة والملائمة لجلّ المراحل الفنّية.

وفي هذا العمل المتواضع توسّلنا إلى جملة من المصادر، والمراجع نذكر منها:

- جمهرة رسائل العرب لأحمد زكي صفوت.
- صبح الأعشى للقلقشندي.
- البيان والتبين للجاحظ.
- دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني.
- فجر الإسلام لأحمد أمين.

أمّا عن الصّعوبات التّي صادفتنا طيلة هذه الرّحلة العلميّة، هو أنّ البّحث تناول موضوعا تجلّت فيه قضايا فكرية عقائدية تمسّ شخص النّبي صلّى الله عليه وسلّم، السّراج المنير للأمّة الإسلامية، فهو ليس بالإنسان العادي، ومساحة البّحث في جزئية من جزئياته تحمل مساحات طويلة عريضة من الزّمن، وكذلك مضمون بعض المصادر أو يمكن أن نقول جلّها متشابهة من حيث المضمون، والمادّة المعرفية.

وختاما لا يسعنى إلاّ أن أتقدم بأسمى آيات الإمتنان والعرفان إلى أستاذتي الفاضلة –الدكتورة رزيقة طاوطاو، وأشكرها جزيل الشكر فجزاها الله خيرا ورعاها

والحمد الله وليّ التّوفيق.

مدخل

الرّسالة: ماهيتها-مظاهرها-أنواعها-تطوّرها-جماليّتها

إنّ الأدب الاسلامي هو جزء من تاريخ العرب، وانتاجهم الفكري بعامّة، وذلك لما تميّزه به في فترة ظهور الإسلام وزمن النّبي صلّى الله عليه وسلّم، حيث تفتَّحت قريحة الأدباء على عُلومٍ كثيرةٍ، وصُقِلَتْ مواهِبُهُم على الإبداع والإنتاج، وأيضا ظهرت أساليب جديدة، جعلته في كثير من الجوانب يحتلّ مكانة ذات أهميّة كبرى سواءِ كان هذا الأدب نظما أو نثرًا.

في حين نجد أنّ النثر بلغ من الرّقي والرّصانة مبلغا لَمْ يبْلغه من قبل، حيث ظهرت كتابات نثرية زاهرة رسمتها فنون متعدّدة ومتنوّعة في مختلف المجالات، فقد بَرَز فنّ الخطابة الإسلامية وكذا المقامة والوصيّة والمقالة، هذه الأخيرة التّي عدّت ضرورة حتمية تقتضيها ظروف الحياة الإجتماعية، والسياسيّة والدّينية بخاصة، كما تقتضيها ظروف الحكم والفتح، وطلب الصلح والمعاهدات بين المسلمين والكفّار.

كانت الرّسالة الإسلامية تمثل رقيّ النّثر في تلك الحقبة الزّمنية، بما طرأ عليه من تعديل وكذا حظي باهتمام الكثير من الأدباء، وقد بَلَغ من الفصاحة والبلاغة مبْلَغًا لم يبلُغْهُ فنٌّ من قبله، ويعود ذلك إلى ما تركه النّبي عليه صلوات الله، من بصمة فنّية في هذا النّوع الأدبي وهو ما سنحاول الكشف عن بعض ملامحه من خلال هذا المدخل: من تعريف الرّسالة، وتطوّرها وأنواعها...الخ.

تعريف الرّسالة:

لغة:

الرّسالة: قال: والترسّل من الرِّسلِ في الأمور والمنطق كالتمهّل والتوقّر والتثبّت.

وجمع الرّسالة: الرّسائل، قال ابن جنْبة: الترسّل في الكلام التوقّر والتفهّم والترفّق من غير أن يرفع صوته شديدا.

والارسال:التوجيه، وقد أرسل إليه، والاسم الرِّسالة، الرّسالة: الرّسول.

والرّسول: الرّسالة والمرْسل.

والمرسلات، في التّنزيل:الرّياح؛ وقيل الخيل

والمرسلة: قلادة تقع على الصّدر[1]

أرسل الشّعر: أطلقه.

والرّسول: بعثه برسالة

راسله: كاتبه.

تراسل القوم: أرسل بعضهم إلى بعض رسولا أو رسالة، ترسّل في القراءة : تمهّل وترفّق.

ويقال ترسّل في كلامه ومشيه. والكاتب: أتى بكلامه مرسلا من غير سجع.

استرسل الشّعر: كان طويلا ناعما، و الشّيء: سلس.

---

[1]ابن منظور: لسان العرب المحيط: إعداد وتصنيف: يوسف خيّاط، من الألف إلى الرّاء، دار لسان العرب، بيروت، المجلّد الأوّل، ص1646.

وفلان في حديثه: أطال وتبسّط.[1]

الرّسالة : ما يرسل: والخطاب: كتاب يشتمل على قليل من المسائل تتكوّن في موضوع واحد.

و بحث مبتكر يقدّمه الطّالب الجامعي لنيل شهادة عالية(محدثة)

ورسالة الرّسول ما أمِر بتبليغه عن الله.

ودعوته النّاس إلى ما أوحي إليه.

الرّسْل: الذِّي فيه لين واسترخاء. يقال:شعررسل : مسْترْسل. وبعير رسْل: سهل السّير. وسير رسل.

الرِّسل: الرِّفق والتّؤدة، يقال: افعل كذا على رسلك: اتّئد ولا تعجل.

الرّسل: القطيع من الإبل والغنم وغيرها.

والجماعة من النّاس-(ج) أرسال: يقال جاءت الإبل والخيل أرْسالا، رسْلا بعد رسْل، وجاء القوم أرسالا: جماعات بعضهم في إثر بعض.

المراسل من النِّساء: التي تراسِل الخطّاب، أو التّي فارقها زوجها بطلاق أو غيره.

ونقول نثر مرْسل: لا يتقيّد بسجع. وشعر مرْسل لا يتقيّد بقافية واحدة.

المرسلات في القرآن: الرِّياح، أو الملائكة أو الخيل [2].

وجاء في مقاييس اللّغة أنّ الرِّسالة من الرّسْل: السّيْر السّهْل.

وناقة رسلة: لا تكلِّفك سياقا. وناقة رسلة أيضا: ليِّنة المفاصل. وشعر رسل: إذا كان مسْترْسِلا.

---

[1] المعجم الوجيز، طبعة خاصة لوزارة التربية والتعليم، 1415هـ-1994م، ص264.

[2] المعجم الوسيط: مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، 1425هـ، 2004م، ص345.

والرّسْل ما أرْسِل من الغنم إلى الرّعى. والرِّسل: اللّبن.

والمرأة المراسِل التّي مات بعلها فالخطّاب يراسلونها.

وتقول على رسلك، أيْ على هيْنتِك؛ وهو من الباب لأنّه يمضي مرْسلا من غير تجشّم[1].

إصطلاحا:

الرّسائل جمع رسالة، والمراد فيها أمور يرتِّبها الكاتب: من حكاية حال من عدو أو صيد، أو مدح وتقريض، أو مفاخرة بين شيئين، أو غير ذلك ممّا يجري هذا المجرى، وسمِّيت رسائل من حيث إنّ الأديب المنشئ لها ربّما كتب بها إلى غيره، مخْبرا فيها بصورة الحال، مفتتحة بما تفتتح به المكاتبات[2]، والرّسالة هي الكلام الذِّي أرسل إلى الغير وخصِّصت في اصطلاح العلماء بالكلام المشتمل على قواعد علمية[3] وقد ورد في التّنزيل الكريم أنّ الكتاب بمعنى الرِّسالة في **قوله تعالى: "اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تولّ عنهم فانظر ماذا يرجعون(28) قالت: يا أيّها الملأ إنِّي ألْقِي إليّ كتاب كريم(29)" صدق الله العظيم.**[4]

---

[1]أبي الحسن: أحمد بن فارس بن زكريا: تحقيق عبد السّلام محمد هارون، دار الجيل، د. ط، بيروت، المجلّد الثّاني، ص392.

[2]أبي العباس أحمد القلقشندي: صبح الأعشى، دار الكتب المصرية، د.ط ،1340هـ، 1922م، القاهرة، ج 14، ص139.

[3]حسن عبد الجليل يوسف: الأدب الجاهلي، قضايا فنون، نصوص، مؤسّسة المختار، الطبعة الثانية، 1424هـ 2003م، ص461.

[4]الآية الكريمة:28-29 من سورة النمل.

والمراسلة هي مخاطبة الغائب بلسان القلم وفائدتها أوسع من أنْ يحصر من حيث أنّها ترجمان الجِنان. ونائب الغائب في قضاء أوطاره (حاجاته) ورباط الوِداد مع تباعد البِّلاد.[1]

والرِّسالة هي كلمة أو حديث في غرض من أغراض الوجدانية أو الأحكام، وقد عرف العرب منها الأمثال، وقد كانت في القديم تقوم مقام المحاضرة في الدِّراسة والموضوعات، وجملة رسائل البلغاء والمنصفين في الآداب والعلوم والفنون.[2]

الرِّسالة بين الجاهليّة والإسلام

الرِّسالة في العصر الجاهلي:

نجد أنّ جمهرة العرب في هذا العصر كانت متبدِّية، فلم تكن الكتابة فاشية، ولذا كانوا يعتمدون في تراسلهم على المشافهة، فيبعثون برسالاتهم شفهية مع أمناء ينتجبونهم لابلاغها، وكانوا يحتفظون بآثارهم الأدبية فيستظهرونها في الصدور، ويتناقلوها على الألسن، ولم يزاولوا من العلوم والفنون ما يقضي عليهم أن يدوِّنوه ويقيِّدوه سجل يدرأ عنه عادية الضّياع.

[1] أحمد الهاشمي: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، دار الكتب العلمية، طبعة تسعة وعشرون، 1403هـ 1983م، بيروت، لبنان، ص39.

[2] مصطفى نعمان البدوي: الرّافعي الكاتب بين المحافظة والتّجديد، دار الجيل، الطّبعة الأولى، 1411هـ، 1991م، بيروت، ص21.

أمّا أهل الحاضرة منهم فقد ألمّوا بالحاضرة بعض الإلمام، وكانوا يمارسون الكتابة، ويتبادلون الرّسائل المكتوبة لكنّهم لتقادم العهد لم يؤثر عنهم إلاّ رسائل قلائل معدودة وهي لنزْورتِها لا توقفنا على صورة صحيحة تامّة لكتابة الرّسائل في ذلك العهد.[1]

و إذا نظرنا في الرّسائل نظرا فاحصا ظهر لنا أنّ بعضها نقِل إلينا عن طريق المشافهة لا الكتابة، وهذا النّقل يضْعف الثّقة في صحّتِها. و أنّ بعضها نثر وبعضها شعر.

ومن الرّسائل الشّعرية رسالة لقيط بن يعمر الإيّادي إلى قومه، ورسالة عبد العزّى بن امرؤ القيس الكلبي إلى قومه، وكتاب عدي بن زيد إلى أخيه أبي، ورد أخيه أبي، وكتاب عبد المطّلب بن هاشم إلى أخواله بيثرب.

ومن أشهر الرّسائل النّثرية وأقدمها رسالة المنذر الأكبر[2] إلى أنو شروان ملك الفرس في صفة جارية أهداها إليه، وفي هذه الرِّسالة وصف المنذر قامة الجارية، ولونها، وعيْنيْها، وتحدّث عن أصلها ونسبها وهي رسالة طويلة.

وربّما كانت صحيفة المتلمّس أشهر الرّسائل في هذا العصر.

وصحيفة المتلمّس شديدة الإيجاز، تشبه برقية من البرقيات الحديثة يأمر فيها ملك الحيرة عامله في البحرين أن يقتل المتلمّس.

---

[1] أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، العصر الجاهلي، عصر صدر الإسلام، المكتبة العربية 1356هـ، 1937م، بيروت لبنان، ج1، ص9.

[2] غازي طليمات، عرفان الأشقر: الأدب الجاهلي: قضاياه، أغراضه، فنونه، أعلامه، دار الفكر المعاصر، 2001، بيروت لبنان، ص716.

وبعض هذه الرّسائل يشبه الوصّية المكتوبة وينطوي على حكم وأمثال ونصائح يهتدي بها النّاس، علاوة على ذلك فإنّ الحاجة كانت تدعو الجاهلي لأن يكتب...

وممّا يروى عن هاشم "كان رجلا شريفا وهو الذّي أخذ الحلف لقريش من قيصر لأن تختلف آمنة... فكتب له قيصر كتابا، وكتب إلى النّجاشي أن يدخل قريشا أرضه"

وكان ورقة بن نوفل كاتبا وقارئا "يكتب الكتاب العبراني، فيكتب بالعبرانية من الإنجيل ما شاء أن يكتب".

وخير دليل على أنّ الجاهليين كانوا يكتبون المواثيق والعهود والرّسائل قول الجاحظ: "وأقول: لولا الخطوط لبطلت العهود والشّروط... ولتعظيم ذلك والثّقة به والإسناد إليه، كانوا يدعون في الجاهليّة من يكتب لهم الحِلف والهدنة تعظيما للأمر، وبعيدا من النّسيان..."[1].

وقد كانوا يكتبون كتبهم هذه"باسمك اللّهم "ويقال أميّة بن أبي الصّلت هو الذّي علّم أهل مكّة ذلك فجعلوها في أوّل كتبهم.[2]

فهذا يدفعنا إلى القول والزعم أنّ العرب عرفوا فنّ الرّسالة لكنْ على نطاق ضيّق وذلك لأنّهم لم يستعملوا الرّسائل فيما بينهم وكانوا يرسلونها مشافهة مثلا قبيلة تريد غزو قبيلة أخرى يرسلون لها شخص يخبرها بالغزو، إضافة إلى ذلك أنّهم لم يعرفوا الرّسائل الرّسمية بحكم أنّهم في هذا العصر كانوا يعيشون في مجتمع لا يمثّل دولة مستقلة وليست لديهم مؤسّسات بخلاف النّوع الوحيد

[1] سالم المعّوش: القواعد المعرفية الإسلامية في الأدب صدر الإسلام، دار النهضة العربية للطّباعة والنّشر، الطّبعة الأولى، 1422هـ، 2000م، بيروت، لبنان، ص212.

[2] نصر الدّين أسد: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التّاريخية، دار المعارف، الطّبعة الخامسة، القاهرة، ص72.

من الرّسائل التّي كانت ترسل إلى الملوك والسّلاطين وبمجيء الإسلام ودعوة النبّي صلّى الله عليه وسلّم، إلى الدّين الجديد أخذت الرّسالة منحنى واتّجاها آخر.

الرّسالة في العصر الإسلامي:

لمّا بعث الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، كان بمكّة نفر مِمّن يحسِنون الكتابة ويبْلغون نحو السّبعة عشر، ثمّ لمّا هاجر إلى المدينة ووقعت غزوة بدر في السّنة الثانية من الهجرة الشّريفة وأسر المسلمون نحو سبعين رجلا من قريش وغيرهم، جعل الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، فداء كلّ من يعجز عن دفع المال تعلّم الكتابة لعشرة من فتيان المدينة، فلا يطلق سراحه إلاّ بعد تعليمهم، فكثرت الكتابة في المدينة، وأخذت تنتشر في كلِّ ناحية دخلها الإسلام في حياة الرّسول وبعدِه.[1]

وكان لحاجة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم إلى تدوين القرآن الكريم وحفظه من جهة، ونظره البعيد إلى حاجة دولته إليها من جهة أخرى، كلّ هذا جعل الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، يهتمّ بالكتابة، لأنهّا ستكون الأساس الذِّي تعتمد عليه دولته في مراسلاته ومباحثاته مع القبائل العربيّة، والدّول المجاورة التِّي بعث إليها وفوده يدعوهم إلى الإسلام.[2]وكانت الرّسائل تكتب قبل بلغة التّفاهم، لا يعمد فيها إلاّ إلى بيان الغرض المقصود منها بأوجز عبارة، وكان أكثرها يمليه الخلفاء أوالولاّة والقوّاد من إنشائهم على الكتاب، لقوّة ملكة الارتجال فيهم.

---

[1]محمد عبد المنعم الخفاجي: الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام، دار الكتاب اللبناني، الطّبعة الثانية، 1980، بيروت، ص153.

[2]إبتسام مرهون الصفّار: الأمالي في الأدب الإسلامي، دار المناهج للنشر والتوزيع 1426هـ، 2006م، عمان الأردن، ص283.

فلمّا عهِدوا بكتابتها على أيدي كتّابهم من أبناء عرب الشّام والعراق ومصر، ومن الموالي من الفرس والرّوم والقبط والمتقرّبين اتّخذوها صناعة فتأنّقوا في صوغ عباراتها وتخيّر ألفاظها، وأقبلوا على تعلّم الأدب وحفظ القرآن وأشعار العرب واقتبسوا منه، وحلّوا نظمه، وأدخلوا في عبارة الكتابة كلّ ما استحسنوه من تشبيهات الشّعر[1].

وضرب أمثاله وحِكمه وترجموا إلى العربيّة كلّ ما أعجبهم من وجوه الأداء في اللّغة الفارسيّة والرّومية، وتميّز ذلك في عصر هشام على يد أبي العلاء عبد الحميد بن يحي، فصارت على يديه صناعة عتيدة، وفنّا من الفنون الأنيقة تدخل جودتها على النّفس سرورا وبهجة. [2]

وفي هذا العصر كثرت الكتب التّي كتبها الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، إلى ملوك وأمراء العرب والأمم المجاورة للجزيرة العربيّة يدعوهم فيها إلى الإسلام-حتّى بلغت مائة عشرة كتاب، وقد اشتهر من هذه الكتب أربعة منها وصلت نصوصها إلينا وتناقلتها المصادر التّي تؤرّخ للفترة النّبوية، كما وصلتنا على فترات الوثائق الأصلية لتلك الكتب وإن كان مشكوك في أصالتها وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، قد أرسلها إلى المنذر بن ساوىء أمير البحرين، والنّجاشي ملك الحبشة، وكسرى ملك الفرس، والمقوقس عظيم مصر. وهي رسائل وجّهها الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، إلى هؤلاء الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام.[3]

---

[1]محمد الفاسي، عمر الدسوقي، محمد صادق عفيفي: الأدب والنّصوص، مكتبة الرشاد، ج5، ص516.

[2]المرجع نفسه: ص517.

[3]صالح بن إبراهيم الحسين: الكتابة العربية من النّقوش إلى الكتاب المخطوط، دار الفيصل الثقافية، 1424هـ، 2003م، الرّياض، ص52.

ولما توفِّي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، واتّسعت الفتوحات الإسلامية كثرت الحاجة إلى الكتابة، وقام الكتّاب بأعمال الدّعوة والدّولة واستخدمهم الخلفاء في كتابة رسائلهم إلى العمّال والولاّة والقوّاد، ورسائلهم إلى أهل الأمصار، وفي كتابة وثائق الصّلح ونصائح الخليفة وتوجيهاته في الحرب والسِّلم. [1]

كانت قريش تكتب جاهليتها "باسمك اللّهم" وكان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم كذلك، ثمّ نزلت سورة "هود" وفيها "باسم الله مجراها ومرساها" فأمر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، بأن يكتب في صدر كتبه "باسم الله" ثم نزلت في سورة "بني إسرائيل" قل ادعوا الله أو ادعوا الرّحمن أيّاما تدعوا فله الأسماء الحسنى" فكتب "باسم الله الرّحمن" ثم نزلت في سورة "النّمل" "أنّه من سليمان وأنّه بسم الله الرّحمن الرّحيم" فجعل ذلك في صدر الكتب إلى السّاعة.[2]

وقد روت الكثير من كتب التّاريخ و الأدب ما وصل إلينا من رسائل العصر الإسلامي نذكر منها على سبيل التّمثيل كتاب عمر بن الخطّاب إلى أبي موسى الأشعري في القضاء: "أمّا بعد، فإنّ القضاء فريضة محكمة، وسنّة متّبعة، فافهم إذا أدلى إليك الخصم، فإنّه لا ينفع [تكلّم بحقٍّ لا يطمع شريف في حيفك، ولا يخاف ضعيف من جورك البيِّنة على من ادّعى، واليمين على من أنكر، والصّلح جائز بين المسلمين إلاّ صلحا أحلّ حراما أو حرّم حلالا-ولا يمنعك قضاء قضيْته

[1] محمّد عبد المنعم الخفاجي: الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام، ص155.

[2] ناصر الدّين أسد: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص72.

بالأمس ثم راجعت فيه نفسك، وهديت فيه لرشدك أن ترجع عنه، فإنّ الحقّ قديم، والرّجوع إليه خير من التمادي على الباطل..."[1]

وأيضا الكتاب الذّي أرسله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى مصر:

بسم الله الرّحمن الرّحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين سلام عليكم فإنّي أحمد إليكم الله الذّي لا إله إلاّ هو أمّا بعد: فإنّ الله عزّ وجلّ بحسن صنعه وتقديره وتدبيره إختار الإسلام دينا لنفسه وملائكته ورسله وبعث به الرّسل عليهم السّلام إلى عباده وخصّ به من إنتخب من خلقه فكان ممّا أكرم الله عزّ وجلّ به هذه الأمّة خصّهم به من الفضيلة أن بعث إليهم محمّدا صلّى الله عليه وسلّم، فعلّمهم الكتاب والحكمة والفرائض والسّنة لكي يهتدوا وجمعهم لكي لا يتفرّقوا وزكّاهم لكي لا يتطهّروا ورفعهم لكي لا يجوروا فلمّا قضى من ذلك ما عليه قبضه الله عزّ وجلّ صلوات الله عليه ورحمته وبركاته[2].

ثمّ أنّ المسلمين استخلفوا به أميرين صالحين عملا بالكتاب والسّنة وأحسنا السِّيرة ولم يعدّوا السّنة ثم توفّاهما الله عزّ وجلّ رضي الله عنهما، ثمّ ولي بعدهما وال فأحدث إحداثا فوجدت الأمّة عليها مقالا فقالوا ثمّ نقموا عليه فغيّروا ثمّ جاءوني فبايعوني فأستهدي الله عزّ وجلّ بالهدى أستعينه على التّقوى ألاّ وإنّ لكم علينا العمل عليكم بحقِّه. والتّنفيذ لسنّته والنّصح لكم بالغيب والله المستعان وحسبنا الله ونعم الوكيل، وقد بعثت إليكم قيس بن سعد بن عبادة أميرا فوازِروه كاتفوه وأعينوا على

[1]أبي عمر أحمد بن محمد عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، 1402هـ، 1982م، ج1، ص86-87.

[2]ابن أثير: الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، 1400هـ، 1980م، ج3، ص137.

الحقِّ وقد أمرته بالإحسان إلى محْسِنِكمْ والشدّة على مريبكم والرِّفق بعوامكم وخواصِّكم وهو ممّن أرضى هدية وأرجوا صلاحه ونصيحته أسأل الله عزّ وجلّ لنا ولكم عملا زاكيا وثوابا جزيلا ورحمة لله واسعة والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته"[1]

ومن هنا نجد أنّ الرِّسالة في صدر الإسلام وعصر الدّولة الأموية قد غيّرت الكثير من الأمور وهذا التّغيير كان جذريا من حيث طبيعة النّصوص وذلك من خلال الفرق بين النّص الجاهلي والنّص الإسلامي ليس من باب الزّمن فقط بل من ناحية جوهر الكاتب أو القائل بطبيعته. فهنا نقف أمام نصوص يخبرها النبِّي صلّى الله عليه وسلّم، ويرويها الصّحابة التّابعون وهي نصوص حقيقيّة ثابتة لاشكّ فيها. ومن خلالها أدرك النّاس الحرام من الحلال من خلال أيمانهم بالنبِّي صلّى اللّه عليه وسلّم، واقتناعهم بالحياة الجديدة التِّي رسمها الإسلام وخطّها محمّد صلّى الله عليه وسلّم بنور كتاب الله عزّ وجلّ وتنوّعت الرِّسالة واختلفت موضوعاتها وهو ما سنوضِّحه فيما يأتي:

أنواع الرِّسالة:

تنقسم الرّسائل باعتبار موضوعاتها إلى أقسام كثيرة ومتنوِّعة نورد منها ما يلي:

الرّسائل الدِّيوانية: ويمتاز الإنشاء فيها ببسط الكلام، وهو يتناول التهنئات بالنّصر وتقليد الوظائف ومكاتبات العمّال والملوك والأمراء وما إلى ذلك، ويختلف أسلوبها بحسب أغراضها. ففي التّهنئات مثلا يذهب الكاتب إلى بسط الكلام في شكر الله وتعظيم النّصر وذكر ما يتّصف به

[1] المصدر السابق: ص137

الممدوح من عزم وإقدام وجلد، ووصف جيشه وعدّته وعدده والتّهويل بذكر العدو ووصف جمعه وعدده وغير ذلك ممّا تقتضيه عظمة النّصر وحالِ الممدوح. [1]

ولقد عرفت الرِّسالة الدِّيوانية في وقت مبكِّر قبل أنْ يكتبها عبد الحميد الكاتب أو أستاذه سالم الذِّي استفاضت الأخبار حول عبقريته في الكتابة العربية التِّي لم يصل إلينا منها شيء[2].

فمن أمثلة الرّسائل الدِّيوانية رسالة كتب بها الحجّاج بن يوسف الثقفي إلى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، تصوِّر حال العراق الذِّي كان الحجّاج يلي أمره في سنة من سنتي ولايته[3] فيقول:"أمّا بعد فإنّا نخبر أمير المؤمنين أنّه لم يصب أرضنا وابل منذ كتبت أخْبِرْ عن سقياْ الله إيّانا، إلاّ مابلّ وجه الأرض: من الطشّ، والرشّ، والرّذاذِ حتّى دقّت الأرض واقشعرّت واغبرّت، وثارت في نواحيها أعاصير تذور دقاق الأرض من ترابها وأمسك الفلاّحون بأيديهم من شدّة الأرض واعتزازها وامتناعها، وأرضنا أرض سريع تغيّرها، وشيك تنكّرها، سيّء ظنّ أهلها عند قحوط المطر، حتّى أرسل الله بالقبول يوم الجمعة، فأثارت زِبْرِجا متقطِّعا متمصِّرا، ثمّ أعقبته الشِّمال يوم السّبت فطحْطحتْ عنه جهامه، وألّفتْ متقطِّعه، وجمعت متمصّره، حتّى إنتضد

---

[1] أنيس المقدسي: تطوّر الأساليب النّثرية في الأدب العربي، دار العلم للملايين، الطّبعة السادسة، 1979 م، بيروت، لبنان، ص218.

[2] مصطفى الشّكعة: الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، الدّار المصرية اللّبنانية، الطّبعة الأولى، 1414هـ، 1993م، ص209.

[3] المرجع نفسه: ص207.

فاستوى، وطما وطحا، وكان جوْنا مرْتعِنا قريبا رواعِده، ثم عادت عوائده بوابل منهمل منسجل، يردف بعضه بعضا، كلّما أردف شؤبوبِ أردفتْه شآبيب لشدّة وقعه في العراص.

وكتبت إلى أمير المؤمنين وهي ترْمى بمثل قِطعِ القطْن، قد ملأ التِباب، وسدّ الشِّعاب، وسقى منها كلّ ساق، فالحمد لله الذِّي أنزل غيْثة، ونشر رحمته منْ بعدِ ما قنطوا وهو الوليّ الحميد والسّلام"[1]

الرّسائل الأدبية:

لا تختلف هذه الرّسائل من حيث الصِّناعة اللفظية عن الرّسائل الدِّيوانية فأكثرها يسود فيه السّجع والبديع، تتناول أغراضا عامّة من مكتتبات إخوانية أو مناظرات أدبية أو وصف مشاهدات شخصيّة. وكثيرا ما يكون كتّابها من أرباب الدّواوين. على أنّ ذلك ليس بقاعدة مطّرِدة. فقد نبغ من أرباب الإنشاء الأدبي جماعة ممّن لم يدخلوا في خدمة الدِّيوان كبديع الزّمان الهمذاني، وأبي عامر بن شهيد (الأندلسي)، وأبي العلاء المعرِّي، وأبي بكر الخوارزمي وكثير غيرهم. [2]

وهذه الرّسائل غالبا ما تبدأ بالحديث إلى المخاطب والدّعاء له، ثم تدخل في الموضوع الذي أنشِئت له الرِّسالة. وإذا أنت حذفت هذا البدء بدت الرّسالة مقالا سويّا.وعلى سبيل الرّسائل الأدبية رسالة المعاش والميعاد أوالأخلاق المحمودة والمذمومة كتبها عمرو بن بحر الجاحظ إلى أبي الوليد محمّد بن أحمد بن أبي داود وقد جاء في مقدِّمتها:"حفظك الله وأمتع بك أمّا بعد:

---

[1]أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتّبيين، تحقيق وشرح: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجى بالقاهرة، الطّبعة السابعة، 1418هـ، 1998م، ج4، ص99، 100

[2]أنيس المقدسي: تطوّر الأساليب النّثرية في الأدب العربي، ص323.

فإنّ جماعات أهل الحِكمة قالوا: واجب على كلِّ حكيم أن يحسن الارتياد لموضع البغتة، وأن يبِين أسباب الأمور ويمهِّد لعواقبها. وإنّما حمِدت العلماء بحسن التثبّت في أوائل الأمور، واستشفافهم بعقولهم ما تجيء به العواقب، فيعلمون عند استقبالها ما تؤول به الحالات في اسْتدْبارها. وبقدر تفاوتهم في ذلك تسْتبين فضائلهم. فأمّا معرفة الأمور[1] عند تكشّفِها وما يظهر من خفيّاْتِها فذاك أمْر يعتدِل فيه الفاضِل والمفْضول، والعالِمون والجاهلون.

وإنِّي عرفتك -أكرمك الله-في أيام الحداثة، وحيث سلطان اللّه المخلِق للأعراض أغلب على نظرائِك، وسكر الشّباب والجدِّة المتحيِّفين للدّين والمروءة مستول على لقائك فاختبِرْت أنت وهم [ففقْتهم] ببسطةِ المقدرة وحميّا الحداثة، وطوْل الجِدّة، مع ما تقدّمْتهم فيه من الوسامة في الصّورة، والجمال في الهيئة. [2]

الرّسائل الإخوانية:

والتّي يمكن أن نسمّيها بالرّسالة الفنّية، بما تتوفر عليه من عنصر الذّاتية والعاطفة الذّي يدفع الكاتب إلى تخيّر ألفاظه وانتقاء عباراته، وتزيين أسلوبه، حتّى يعبِّر عن الشّعور ويؤْثر في القلوب.[3]

---

[1] أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة 1384هـ، 1964م، ج 1_2، ص91.

[2] المصدر نفسه: ص31

[3] عبد الملك بومنجل: النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، بيت الحكمة، الطبعة الأولى، جوان ،2009، ص49

والرّسائل الإخوانية شعر غنائي منثور يجد فيها كاتبها متنفّسا حرّا عن عواطفه، لايقيِّده فيها وزن ولا قافية، وهي من أقرب فنون النّثر إلى الشِّعر، وهي تعبير عن عاطفة شخصيّة. [1]

الرّسائل الوعظية:

وإلى جانب الرّسائل المبكِّرة من ديوانيّة وإخوانيّة كانت هناك رسالة أخرى تلعب دورا هامّا في حياة النّاس الاجتماعية، تلك هي الرّسالة الوعظية أو الدِّينية، وكان الكاتب فيها يعتمد على الأسلوب السّهل الذِّي يخاطب الوجدان، ويغوص إلى أعماق النّفس فيهزّها هزّا بضرب الأمثلة والعمد إلى السّجع حينا والتّرادف حينا آخر مع الاقتباس من آيات القرآن الكريم والحديث الشّريف في بعض الأحيان، وإمام كتب الرسائل الوعظية وأبلغهم دون منازع الحسن البصري-ومن أمثلة رسائله تلك ما كتب به إلى الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز يصف فيها الإمام العادل[2] فيقول في مقدمتها:

"اعلم يا أمير المؤمنين أنّ الله جعل الإمام العادل قِوام كلّ ماثل وقصد كلِّ جائر، وصلاح كلِّ فاسد، وقوّة كلِّ ضعيف، ونصفه كلّ مظلوم، ومفزع كلّ ملهوف. والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالرّاعي الشفيق على إبله الرّفيق بها الذّي يرتاد لها أطيب المرعى، ويذودها على موانع الهلكة، ويحميها من السّباع ويكفّها من أذى الحرّوالقرِّ..."[3]

---

[1] أحمد أحمد بدوي: أسس النقد الأدبي عند العرب، ص581

[2] مصطفى الشّكعة: الأدب في مركب الحضارة الإسلامية، ص212.

[3] أحمد بن محمد ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، ص33.

كتابة الرّسائل وتطوّرها:

كان زعماء العرب وفصحاؤهم كلّهم كتّابا ينشِؤون بملكتهم، فكان النبّي و أصحابه و خلفاؤه يملون كتبهم على كتابهم بعبارتهم وبعضهم يكتبها بيده-ولمّا اتّسعت موارد الخلافة أصبحت في حاجة إلى إنشاء الدّواوين لضبط ذلك، فكان عمر أوّل من دوّن الدّواوين-وكان كتّاب الرّسائل للخلفاء وعمّالهم إماّ عربا أو موالِي يجيدون العربية-أمّا كتّاب الخراج ونحوه فكانوا في كلِّ إقليم من أهله يكتبون بلغتهم-ولمّا نبغ من العرب من يحسن عملهم حوِّلت هذه الدّواوين إلى العربيّة زمن عبد الملك بن مروان، والوليد ابنه، وجرى خلفاء بني أميّة في كتابة الرّسائل على ما كان عليه الأمر زمن الخلفاء الرّاشدين[1].

ثمّ لمّا اتّسعت رقعة المملكة وقرّت أمور الدّولة ازدادت الأعمال وشغِل الخلفاء بالكتابة بأنفسهم أو بخاصّة عشيرتهم عهدوا بها إلى كبار كتّابهم-وكان كثير منهم يعرف اللّغة الرّومية أو الفارسية أو اليونانيّة أو السريانيّة، وهي لغات أمم ذات حضارة وعلوم ونظام ورسوم-ومن هؤلاء سالم مولى هشام بن عبد الملك أحد الواضعين لنظام الرّسائل.

ومنذ ذلك الحين اتّخذ النّثر العربي اتّجاها جديدا قائما على التّفصيل والتّطويل، وانفتح باب الرّسائل والتّصنيف، فكانت الرّسائل أبحاثا مختلفة في السِّياسة والكتابة وما إلى ذلك، وقد ظهر

[1] أحمد الهاشمي: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ص387.

التأنّق في الرّسائل وراح كتّابها يتنافسون في الزخرفة وحسن الأداء، والموسيقى الصّوتية، مقتبسين[1] من أساليب الفرس والرّوم تفخيما ومنطقا وراحوا يضعون للكتابة أصولا وقوانين تجري عليها، وانقلبت الطّبيعة والفطرة إلى صنعة. وكان زعيم هذا الأسلوب في ذلك العهد عبد الحميد بن يحي الذّي لقّب "بالكاتب" تعظيما لشأنه وإقرارا بفضله فأسهب في الرّسائل ونمّقها ورقّقها وأطال التّحميدات في أوّلها وتبعه في ذلك سائر الكتّاب. [2] وجملة القول أنّ النّثر في أربعين سنة خطا في سبيل الكمال بفضل الدّين والفتوح خطوة واسعة، فانتقل من السجعات القصيرة المفكّكة والمعاني العامّة المجملة، إلى هذا الأسلوب المحكم، المطّرِد السّياق، المختلف الغرض، كما ترى في رسائل الإمام علي وخطبه وهو تقدّم سريع لم يظفر بمثله الشّعر. [3]

إذن يمكننا القول أنّ الرّسالة تطوّرت في العهد الأموي على أيدي الأعاجم في الدّيوان وكان ذلك على يد شيخها الأكبر عبد الحميد الكاتب وقد اختلفت اختلافا كبيرا عمّا عهدناه في العصر الجاهلي من حيث الهيكل والمضمون وأصبحت وسيلة وأداة تعبيرية عن أغراض ومصالح وأهداف بالتّالي أداة دعاية بعد أن كانت أداة توصيل تبليغ أو حكم.

---

[1] حنا الفاخوري: الموجز في الأدب العربي وتاريخه، الأدب العربي القديم، دار الجيل، الطبعة الثالثة، 1424هـ، 2003م، بيروت، المجلّد الأوّل، ص405.

[2] المرجع نفسه، ص405.

[3] أحمد حسن الزّيات: تاريخ الأدب العربي، دار المعرفة، الطبعة الثامنة، 1425هـ، 2004م، بيروت، ص143.

الرّسالة ودورها:

يقول صاحب صبح الأعشى:"والترسّل مبني على مصالح الأمّة وقوام الرّعية لما يشتمل عليه مكاتبات الملوك وسراه النّاس في مهمّات الدّين وصلاح الحال وبيْعات الخلفاء وعهودهم، وما يصدر عنهم من عهود الملوك، وما يلتحق بذلك من ولايات أرباب السّيوف والأقلام الذّين هم أركان الدّولة وقواعدها. إلى غير ذلك من المصالح التّي لا تكاد تحت الإحصاء ولا يأخذها الحصر".[1]

هذا لأنّ الكتابة كانت في بداية نشأتها عصر الدّولة الإسلاميةالأولى ديوانيّة. وهذا الفنّ الكتابي، لم يعرفه العرب في الجاهليّة وإن شئت فقل لم يكونوا في حاجة ماسّة إليه، حيث أنّهم لم يعرفوا نظام الدّولة في حياتهم الاجتماعيّة.

وتعدّ الكتابة أساسا من الأسس التّي ترتكز عليها النّظام السياسّي للدّولة ولذا فلمّا أصبح العرب بعد الإسلام دولة، أحسّوا بحاجتهم الماسّة إلى هذا الفن، لتصريف شؤون دولتهم السياسيّة، والدّينية[1] ولما اتّسعت الفتوح وتفرّق الولاّة والعمّال في الأقطار احتاجت الدّولة إلىأن تبلّغ أولئك الولاّة والعمّال وغيرهم من أصحاب المناصب في الأمصار المختلفة أمورا تتعلّق بالسّياسة أوالإدارة فحدثت كتابة الرّسائل[3] فصار الكتاب يؤدّي كنْه الحاجة بأبلغ من العبارة اللّسانية في الأكثر، وكان

[1]أبي العبّاس أحمد القلقشندي: صبح الأعشى، ص60

[2]عثمان موافى: في نظرية الأدب-من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم، دار المعرفة الجامعية، 2000م، ج1، ص79.

الكاتب للأمير يكون من أهل نسبه ومن عظماء القبيلة كما كان للخلفاء وأمراء الصحابة بالشّام والعراق لعظم أمانتهم و خلوص أسرارهم فلمّا فسد اللّسان وصار صناعة اختصّ بمن يحسِنه.[1]

ونستخلص ممّا سبق أن البيئة الإسلامية شكّلت بيئة خصبة لازدهار النّص الخطابي والنّثري عامّة والنّص القرشي خاصّة، هذاالأخير الذّي أصبح يلعب دورا هامّا ورئيسا في الحياة العامّة وأيضا في الدّعوة إلى الإسلام، وبناء دولة المسلمين. وأصبحت الرّسالة بذلك تعدّ بنية تختصّ بالإعلام والتّبليغ والأخبار.

الصّفة الجمالية للرّسالة النّبوية:

كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أفصح العرب، على أنّه لا يتكلّف القول، ولا يقصد إلى تزيينه، ولا ينبغي إليه وسيلة من وسائل الصّنعة، ولا يجاوز به مقدار الإبلاغ في المعنى الذّي يريده، ثمّ لا يعرض له في ذلك سقط ولا استكراه، ولا تستزِلّه الفجاءه، وما يبدوا من أغراض الكلام عن الأسلوب الرّائع وعن النّمط الغريب والطّريقة المحكمة، بحيث لا يجد النّظر إلاّ كلامه طريقا يتصفّح منه صاعدا أو منحدرا، ثم أنت لا تعرف له إلاّ المعاني التّي هي إلهام النّبوة، ونتاج الحكمة، وغاية العقل، وما إلى ذلك ممّا يخرج به الكلام و ليس فوقه مقدار إنساني من البلاغة والتسديد وبراعة القصد، المجيء في كلّ ذلك من وراء الغاية.

وإن كان كلامه-صلّى الله عليه وسلّم-لكما قال الجاحظ:

---

[3]عبد الرّحمن بن خلدون: تحقيق: حامد أحمد طاهر: المقدّمة، دار الفجر للتّراث، الطّبعة الأولى، 1425هـ، 2004م، القاهرة، ص307.

"هو الكلام الذِّي قلّ عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجل عن الصنعة، ونزِّه عن التّكلف... استعمل المبسوط من موضع البسطِ، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشيّ، ورغِب عن الهجين السوقيِّ؛ فلم ينطق عن ميراث حكمه، ولم يتكلّم إلاّ بكلامٍ قد حفّ بالعصمة، وشدّ بالتأييد، يسِّر بالتّوفيق، وهذا الكلام الذِّي ألقي الله المحبّة عليه وغشاه بالقبول، وجمع بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام و قلّة عدد الكلام وهو مع[1]استغنائه عن إعادته وقلّه حاجة السّامع إلى معاودته، لم يسقط له كلمة، لازلّت له قدم، ولا بارت له حجّة، ولم يقم له خصْم، ولا أقحمه خطيب، بل يبدّ الخطْب الطوال بالكلام القصير، ولا يلتمس إسكات الخصم إلاّ بما يعرفه الخصم، ولا يحتجّ إلاّ بالصِّدق..."[2]

والنّاظر في الكتب النّبوية لا محيص له عن أن يرى فيها مزايا كتابيّة خاصّة نذكر منها:

1-الإيجاز والبساطة-فكلّما شاهد عن الاستغناء بأقلِّ الألفاظ، وعلى الخلوِّ من الصِّناعة اللّفظية، تكثر فيها الإشارة إلى المعاني والبعد عن تكلّف السّجع أو البديع وهي أقرب إلى لغة المحادثة والتّخاطب.

2-تكثر فيها الألفاظ المناسبة لحال المخاطب-كالعباهة والتِّيعة، والطلح والعارض والفريش والسيوب والوارط وعشرات غيرها من الألفاظ التِّي يقلّ أو يندر استعمالها في غير ذلك[3] يقول

---

[1]مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، الطّبعة الثامنة، 1425هـ، 2005م، بيروت، ج1، ص123.

[2]المصدر نفسه، ص194.

[3]أنيس المقدسي: تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ص36.

القلقشندي:"وكانت لغة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، التّي يتكلّم بها على الدّوام ويخاطب بها الخاص والعام لغة قريش وحاضرة الحجاز. إلاّ أنّه صلّى الله عليه وسلّم، أوتي جوامع الكلم وجمع سهولة الحاضرة جزالة البادية، فكان يخاطب أهل نجد وتهامة وقبائل اليمن بلغتهم..."[1]

3-أوضاع خاصّة تلفت النّظر وقلّما نعثر عليها في سوى هذه الكتب كقوله-ما كان أحد مكانه

لم آثم مالكك-أي لم أجازكم على مالكم من أعمال تستوجب الجزاء.

لم أضع فيكم منذ سالمت-أي لم أقم بأمر فيه نقض بعهد أو إساءة لكم، إن لهم سعاية-أي صدقة وليقيم فلان-أي ليتولّ الأمر أو ليقم بالصّلاة في النّاس وجمع الصّدقات، لا يحاقّه في ذلك أحد-أي لا يدّعي أنّ له حقّا فيه، أنّ الله ورسوله جار على ذلك - أي حليف أو مناصر، وأمثال هذه الأوضاع تكاد تنحصر في العهود النّبوية.

4-تتابع العبارات في كثير منها بعطف أو غير عطف دون تكلّف التّعادل بينها أو صحّة التّفسير فيهاعلى أنّك تجد في بعضها ميلا إلى التّوازن أو الازدواج ولكنّه غير عام، ممّا يلفت النّظر أنّك إذا استثنيت بعض الكتب ولاسيما التّي يقال أنّها أرسلت إلى الملوك فإنّ الكتب النّبوية عموما خالية من الشّواهد القرآنية وليس فيها ما يدلّ على فنّ كتابيٍّ خاص تعمّده الرّسول وإنّما هي تمثّل لغة التعامل العادية في ذلك الوقت[2].

وهو ما سنحاول بحثه وتبيانه في الفصل الموالي.

[1]أبي العبّاس أحمد القلقشندي: صبح الأعشى، ج2، ص233.

[2]المصدر السابق: ص38.

الفصل الأول: الوظيفة التبليغية لرسالة النبي صلّى الله عليه وسلّم

أولا: رسالته في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر

ثانيا: رسالته في الجهاد

ثالثا: رسالته في العبادات

- الصّلاة
- الصّوم
- الحج
- الزّكاة

لمّا أمر الله سبحانه وتعالى آخر أنبيائه محمّد عليه الصّلاة والسلام، بتبليغ رسالة الاسلام إلى النّاس كافة، كان من الطبيعي أن يستعمل في دعوته أنجع الوسائل والطّرق للوصول إلى من رَغِبوا عن الدّين وتبليغم بما جاء به الاسلام، من أوامر ونواهي، وحلالٍ وحرامٍ، وبذلك تستقيم حياتهم وأمورهم، ولأّن الإسلام دين الحقّ والمساواة. وجّه الرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم، كتباَ إلى الملوك والرُّؤساء والقبائل يدعوهم فيها إلى اعتناق الدّين الجديد، فكتب مجموعة من الرّسائل اختلفت موضوعاتها، وتنوّعت أغراضها، فمنها ما تمحور حول الجّهاد، والعبادات، والامر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وهو ما سنأتي به في هَذَا الفصل على سبيل التّمثيل وأهَمُ الغايات التّي كَانَ النبي صلّى الله عليه وسلم، يطمح للوصول إليها.

رسالة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر:

قال الرّسول صلّى الله عليه وسلّم:"اتّقوا الظُّلم فإنَ الظّلم ظلمات يوم القيّامة واتّقوا الشحّ أهلك من كان قبلكم وحملهم علىأن سفكوا دماءهم واستحلّوا محارمهم" رواه مسلم [1]

لمّا كان عرب الحجاز في الجاهليّة بدوا أو شبه بدو، لم تكن لهم حكومة منظّمة ولا ملوك يمنعون من تعدّى بعضهم على بعض بما لهم من قوّة تنفيذيّة، إنّما كانوا قبائل إذا كثر عددها، انقسموا إلى بطون وأفخاذ وعشائر، والرّابطة بين أفراد القبائل هي رابطة الدّم، فكلّ من كانوا من دم واحد ولو في زعمهم–عدّوا كتلة واحدة، لأفرادها الحقّ في التمتّع بحمايتها، والاستصراخ بها، وعليها أن تدافع عنه، وتطالب بدمه، وعليه الطود عنها، والخضوع لعرفها ودينها،وكان لكل قبيلة شيخ هو صاحب السيادة على أفراد القبيلة، مكّنته من هذه السيّادة، ولادته من بيت الريّاسة وهو الذّي يمثّلها في علاقتها الخارجيّة بالقبائل الأخرى، وإنّما كان يستمدُ قوّته ونفوذه من الرّأي العام لقبيلته، لا بماله منجيش وجنود ونحوذلك، وكان لكلّ قبيلة عرف وتقاليد، تشترك أحيانا في أمور وتختلف في أخرى تبعا لبعدها عن البداوة وقربها منها، و كان للقبيلة حاكم يحكم بين من تنازع منهم حسب تقاليدهم وتجاربهم[2]، هؤلاء الحكّام لم يكونوا يحكمون بقانون مدوّن.

إنّما يرجعون إلى عرفهم وتقاليدهم التّي كوّنتها تجاربهم أحيانا، ومعتقداتهم أحيانا، وما وصل إليهم عن طريق اليّهودية أحيانا، ولم يكن لهذا القانون الجاهليّ المؤسّس على العرف والتّقاليد

[1]أحمد الهاشمي: مختار الأحاديث النبوية والحكم المحمدية، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية عشر، بيروت، لبنان، ص121.

[2]أحمد أمين: فجر الإسلام، كلمات عربية للترجمة والنشر، د ط، القاهرة، ص247.

جزاءً، ولا المتخاصمون ملزمون بالتّحاكم إليه والخضوع لحكمه، فإن تحاكموا إليه فبها وإلاّ لا، وإن صدر الحكم أطاعه إن شاء، وإن لم يطعه فلا شيء أكثر من يحلّ عليه غضب القبيلة.

وقد تعرّض الإسلام للقانون الجاهليّ، وبعبارة أخرى لعرف العرب وبتقاليدهم في الجاهليّة، فأقرّ بعضا وأنكر بعضا وعدّل بعضا...وعدّل الإسلام بعض شريعة الجاهليّة في الحجّ والزّواج والطّلاق والمهر والخلع والإيلاء...[1]

ونجد أيضا من الأمور المهمّة التّي ركّز الإسلام عليها ودعا إليها رسولنا الكريم الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر "وهو الذي أنزل الله به كتبه، وأرسل به رسله وهو من الدِين"[2] **لقوله عَزّ وجَلّ:"يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيّبات ويحرّم عليهم الخبائث"[3].**

وتحريم الخبائث يندرج في معنى النّهي عن المنكر، كما أنّ إحلال الطيّبات يندرج في معنى الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، لأنّ تحريم الطيّبات هو ممّا نهى الله عنه وكذلك الأمر بجميع المعروف، والنّهي عن كلّ منكر، ممّا لم يتم إلاّ للرّسول الذّي تمّم الله به مكارم الأخلاق[4]

وقد قال الأحنف بن قيس: ما ادّخرت الآباء للأبناء، ولا أبقت الموتى للأحياء، شيئا أفضل من اصطناع المعروف عند ذوي الأحساب.

---

[1] المرجع السابق، ص147-148

[2] تقي الدِّين بن تيمية: أحكام الأخلاق، تحقيق وإعداد"عبد الله بدران، محمّد عمر الحاج"، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ص51.

[3] القرآن الكريم: سورة الأعراف، الآية157.

[4] تقيُ الدين بن تيمية: أحكام الأخلاق،ص52-53.

وقالوا ترتيب المعروف أولى من اصطناعه، لأنّ اصطناعه نافلة، وترتيبه فريضة.[1]

وفي زمن الدّعوة المحمّدية كتب رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم كتابا بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه اليهود وعاهدهم، وأقرّهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم واشترط عليهم.[2]

بسم الله الرّحمن الرّحيم: هذا كتاب من محمّد النبيّ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم، وجاهد معهم، إنّهم أمّة واحدة من دون النّاس، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين...،وإنّ المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل. وألاّ يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه، وإنّ المؤمنين المتّقين على من بغى منهم من ابتغى دسيعة ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وإنّ أيديهم عليه جميعا، ولو كان ولد أحدهم. ولا يقتل[3] مؤمنٌ مؤمنا في كافر، ولا ينصر كافر على مؤمن وإن ذمّة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم وإنّ المؤمنين بعضهم موالي بعض دون النّاس، وإنّه من تبعنا من يهود فإنّ له النّصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصر عليهم. وإن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلاّ على سواء وعدل بينهم. وإنّ كلّ غازية غزت معنا يعقب

---

[1] أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد/ج1، ص194

[2] عبد السّلام هارون: تهذيب سيرة إبن هشام، دار البحوث العلمية، الطبعة الخامسة عشر، 1406هـ، 1986م، الكويت، ص123.

[3] المرجع نفسه: ص124.

بعضها بعضا. وإنّ المؤمنين يبيء بعضهم على بعض بما نال دمائهم في سبيل الله. وإن المتّقين على أحسن هدي وأقومه. وإنّه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفيسا، ولا يحول دونه على مؤمن، وإنّه من إعتبط مؤمنا قتلا عن بيِنة فإنه قود به إلاّ أن يرضى وليّ المقتول، وإنّ المؤمنين عليه كافّة، ولا يحلّ لهم إلاّ قيام عليه، وإنّه لا يحلّ لمؤمن أقرّ بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا ولا يؤويه، وإنّه من نصره أو آواه فإنّ عليه لعنة الله وغضبه يوم القيّامة ولا يأخذ منه صرف ولا عدل، وإنّكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإنّ مردّه إلى الله عزّ وجلّ وإلى محمّد صلّى الله عليه وسلّم...إلخ"[1]

إنّ إمساك الأذى يعني إفساح المجال لانطلاق الخير والنّفع، وبذلك يكون الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر تحقيقا لنظريّة خير الإسلام وخير المسلمين وسلامة الإنسان وهو ما سعى النبيّ إلى تحقيقه.

رسالة النّبي عليه الصّلاة والسّلام في الجهاد:

لمّا كان الإسلام هو دين الإنسانية القويّة المتآخية فقد دار كلّه من ألفه إلى بائه حول الجهاد، وكانت العبارات فيه من صلاة وزكاة وحجّ وصوم تهيئة للجهاد، وإمدادا للمجاهدين، وكانت قواعده وأحكامه وأصوله وفروعه، وقرآنه وسنّته، وعقيدته وشريعته تقنينا للجهاد وحثّا عليه، ودفعا إليه، فلا إسلام ولا دين بغير الجهاد. [2]

[1] المرجع السابق، ص124، 125.

[2] فتحي رضوان: الإسلام والمسلمون، دار الشروق، 1402هـ، 1982م، بيروت ص72.

ولمّا كانت البلاد العربيّة التّي ظهر فيها الإسلام محاطة بنفوذ دول أجنبية قويّة لها مستعمرات كبيرة على حدود جزيرة العرب وهذه الدّول هي الفّرس والرّومان وقد كانت الفّرس في زمن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم تحتلّ اليمن والعراق، وكان الرّومان يسيطرون على مصر والشّام، فهم بذلك كانوا يحيطون بالبلاد العربيّة مركز الدّعوة الإسلامية.

ورغم قوّتهم فقد أراد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أن تصلهم الدّعوة المحمّدية فكتب إليهم كتبا يدعوهم فيها إلى الإسلام[1]، فبعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم دحية بن خليفة الكلبي، إلى هرقل قيصر الرّوم، سنة ستٍّ بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام، ونسخته:

سلام على من اتّبع الهدى، أمَا بعد: فإنّي أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يؤتك أجرك مرّتين، فإن تولّيت فإ"بسم الله الرّحمن الرّحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الرّوم، سلام على من نّما عليك إثم الأريسيّين،

"ويأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، ألاّ نعبد إلاّ الله، ولا نشرك به شيئا، ولا يتّخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولُّوا فقولوا أشهدوا بأنّا مسلمون"[2]

ورغم أنَ هرقل ملك الرّوم لم يردّ على رسالة النبيّ ردّا سيّئا فإنّ بعض مستعمراته بدأت تتخوّف من أن يمتدّ نفوذ المسلمين إليها، فأخذ أمراؤها يعتدون على المسلمين أو يحاولون غزو

[1] عبد الكريم غلاب: تاريخ الإسلام، الطبعة الثالثة، ص64.

[2] أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب في عصورها العربية الزاهرة، العصر الجاهلي، العصر الإسلامي، ص38-39.

المواقع التّي تقع تحت سلطة الإسلام[1] من ذلك ما حدث في سريّة مؤتة، وهي بأدنى البلقاء، في جمادى الأولى سنة ثمان من مهاجر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

قالوا: بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الحارث بن عمير الأزدي أحد بني لهب إلى ملك بصرى بكتاب، فلمّا نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغسّاني فقتله ولم يقتل رسول الله صلّى الله عليه و سلّمرسول غيره، فاشتدّ ذلك عليه وندب النّاس فأسرعوا وعسكروا بالجرف وهم ثلاثة آلاف، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، أمير النّاس زيد بن حارثة فإن قتل فجعفر بن أبي طالب ، فإن قتل فعبد الله بن رواحة فإن قتل فليرتض المسلمون بينهم رجلا فيجعلوه عليهم، وعقد لهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، لواء أبيض ودفعه إلى زيد بن حارثة وأوصاهم رسول اللّه صلّي اللّه عليه وسلّم،أن يأتوا مقتل الحارث ابن عمير وأن يدعوا من هناك إلى الإسلام فإنْ أجابوا وإلاّ استعانوا عليهم بالله وقاتلوهم، وخرج مشيّعا لهم حتّى بلغ ثنيّة الوداع فوقف وودّعهم[2]، فلمّا ساروا من معسكرهم ناد المسلمون، دفع الله عنكم وردّكم صالحين غانمين.

قال: فلمّا فصلوا من المدينة سمع العدو بمسيرهم فجمعوا لهم وقام فيهم شرحبيل بن عمرو فجمع أكثر من مائة ألف وقدم الطلائع أمامه، وقد نزل المسلمون معَان من أرض الشّوم وبلغ النّاس أنّ هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من بهراء ووائل وبكر ولخم وجذام. فأقاموا ليلتين لينظروا في أمرهم وقالوا نكتب إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فنخبره الخبر

[1] عبد الكريم غلاب: تاريخ الإسلام، ص47.

[2] محمد بن سعد بن منيع الزهري: كتاب الطبقات الكبير، مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم، تحقيق: علي محمّد عمر، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، 1421هـ 2001م، القاهرة، ال جزء2، ص119.

فشجّعهم عبد الله بن رواحه على المعني، فمضوا إلى مؤتة ووافاهم المشركون فجاء منهم ما لا قبل لأحد به من العدد والسلاح والكراع والديباج والحرير والذّهب، فالتقى المسلمون والمشركون وقاتل الأمراء يومئذٍ على أرجلهم فأخذ اللّوِاء زيد بن حارثة فقاتل، وقاتل المسلمون معه على صفوفهم، حتّى قتل طعنا بالرماح رحمه الله، ثم أخذ اللّواء جعفر بن أبي طالب فنزل عن فرس له شقراء فعرقبها فكانت أوّل فرس عرقبت في الإسلام وقاتل حتّى قتل، رضي الله عنه، ضربه رجل من الرّوم فقطعه بنصفين، فوجد في أحد نصفيه بضعة وثلاثين جرحا ووجد فيما قيل من بدن جعفر اثنتان وسبعون ضربة بسيف وطعنه ورمحٍ، ثمّ أخذ اللّواء عبد الله بن رواحه فقاتل حتّى قتل رحمه الله، فاصطلح النّاس على خالد بن الوليد فأخذ اللّواء وانكشف النّاس وكانت الهزيمة.[1]

فتبعهم المشركون فقتل من قتل من المسلمين ورفعت الأرض لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، حتّى نظر إلى معترك القوم.

فلمّا أخذ خالد بن الوليد اللّواء قال رسول الله صلّى الله عليه و سلّم: الآن حمي الوطيس فلمّا سمع أهل المدينة بجيش مؤتة قادمين تلقّوهم بالجرف، فجعل النّاس يحثّون في وجوههم التّراب ويقولون: يا فرّار أفررتم في سبيل الله؟ فيقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ليسوا بفرّار ولكنّهم كرّار إن شاء الله.

وإلى جانب هذه الحادثة نذكر حادثة أخرى لا تقلُ أهميّة عن سابقتها في حياة المسلمين وهي سريّة عبد الله بن جحش الأسدي إلى نخلة.

[1] المصدر السابق: ص119، 120.

قال ابن إسحاق: وكتب له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، كتابا وأمره ألاّ ينظر فيه حتّى يسير يومين، ثم ينظر فيه، ويمضي لما أمره به، ولا يستكره أحدا من أصحابه.

قال: فلمّا سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب فإذا فيه:"إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتّى تنزل نخلة، بين مكّة والطّائف، فترصد بها قريشا، وتعلم لنا من أخبارهم"

فلمّا نظر عبد الله في الكتاب قال:سمع وطاعة، ثم ذكر ذلك لأصحابه وقال لهم:"قد نهاني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن استكره أحدا منكم، فمن كان يريد الشّهادة ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، فأمَا أنا فماض لأمر رسول الله صلَى الله عليه وسلَم، على الحجاز حتّى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له[1] بحران، أظلّ سعد بن أبي وقّاص وعتبة بن غزوان بعيرهما فتخَلّفا في طلبه، ومضى عبد الله وبقيّة أصحابه حتّى نزل بنخلة، فمرّت به عير لقريش تحمل زبيبا وأدما وتجارة من تجارة قريش– وفيها عمرو بن الحضرميّ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة، وأخوه نوفل، والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة.[2] فلمّا رآهم القوم هابوهم؛ وكان عكاشة حلق رأسه ليطمئن القوم، فأمنوا.

قال لهم عثمان: لا بأس عليكم منهم قال: فسرّحوا ركابهم، وصنعوا طعاما قال: فتشاور القوم فيهم، وذلك آخر يوم من شهر رجب فقالوا: والله لئن تركتموهم في هذه اللّيلة ليدخلنّ الحرم فليمتنعنّ منكم به، وإن قتلتموهم لتقتلنّهم في الشّهر الحرام. فتردّد القوم وهابوا الإقدام عليهم، ثم

[1]شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهاب النّويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، علي محمّد هاشم، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1424هـ 2004م، ج 17، ص8.

[2]المصدر نفسه: ص8 ، 9.

شجّعوا أنفسهم و أجمعوا على من قتل من قدروا، عليه منهم وأخذ ما معهم فخرج واقد، بن عبد الله يقدم المسلمين، فرمى عمرو بن الحضرميٍّ بسهم فقتله، واستأثر عثمان بن عبد الله، والحكم بن كيسان، وأفلت نوفل بن عبد الله فأعجزهم، وأقبل عبد الله وأصحابه بالعير والأسيرين حتّى قدموا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فلمّا قدموا عليه قال: ما أمرتكم بقتال في الشّهر الحرام ووقف العير والأسيرين، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئا؛ فأسقط في يد القوم، و ظنّوا أنّهم قد هلكوا، وعنّفهم المسلمون فيما صنعوا.

وقالت قريش: قد استحلّ محمّد وأصحابه الشّهر الحرام، وسفكوا فيه الدّم، وأخذوا فيه الأموال، وأسِروا الرّجال؛ وأكثر النّاس في ذلك، فأنزل **الله تعالى:"يسألونك عن الشّهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصدٌ عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل"**[1]

قال: فلمّا نزلت الآيات قبض رسول الله صلّى الله عليه وسلّم العير والأسيرين وبعث إليه قريش في فدائهما، فقال"لا،حتّى يقدم صاحبانا، يعني سعد بن أبي وقّاص، وعتبة بن غزوان، فإذا نخشاكم عليهما، فإن تقتلوهما نقتل صاحبيكم فقدم سعد وعتبة، فأفداهما رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فأمّا الحكم بن كيسان فأسلم وحسن إسلامه، وأقام عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، حتّى قتل[2] يوم بئر معونة شهيدا وأماّ عثمان فلحق بمكّة، فكان بها حتّى مات كافرا.

[1]الآية الكريمة 217 من سورة البقرة.

[2]أحمد بن عبد الوهاب النّويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ص9.

قال: فلمّا تجلّى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه طمعوا في الأجر، فقالوا: يارسول الله، أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطي فيها أجر المجاهدين؟ [1] فأنزل **الله تعالى فيهم:"إنَ الذَين آمنوا والذّين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم"[2]صدق الله العظيم.**

قال وقسّم رسول الله ألفي فجعل أربعة أخماسه لمن أفائه، وخمسه إلى الله ورسوله.[3]

ولمّا قدم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة، ودخلت سنة تسع بعث المصدقين يأخذون الصدقات من الأعراب، فبعث عينة إلى بني تميم، وبعث عديْ بن حاتم إلى طيِّئ وبني أسد، وبعث مالك بن نويرة على صدقات بني حنظلة، وفَرّق صدقات بني سعد على رجلين فبعث الزبرقان بن بدر على ناحية وقيس بن عاصم على ناحية، وبعث العلاء بن الحضرميٍّ على البحرين، وبعث عليّا إلى نجران.

وفيها كانت غزوة تبّوك وكانت في رجب في زمن عسرة من النّاس وجدْب من البِّلاد حين طابت الثِّمار[4].

---

[1]المصدر السابق، ص.10

[2]الآية الكريمة:218 من سورة البقرة.

[3] أحمد بن عبد الوهاب النّويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ص10.

[4]الإمام محمد بن عبد الوهاب: مختصر زاد الميعاد للإمام ابن القيم الجوزية، دار الهدى، الطبعة الثالثة 409هـ، 1989م، ص332.

فأمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالجهاد، وحضّ أهل الغنى على النّفقة، فأنفق عثمان ثلاثمائة بعير بعدّتها وألف دينار[1]، وهكذا تجهّز الجّيش فاستعمل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على المدينة محمّد بن مسلمة الأنصاري، وقيل سباع بن غرطفة وخلف على أهله بن أبي طالب وأمره بالإقامة فيهم، وغمض عليه المنافقون، فخرج فلحق برسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فردّه إلى المدينة وقال:"ألا ترض أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي"[2].

ونزل الجيش الإسلامي بتبّوك، فعسكر هناك وهو مستعدّ للقاء العدوِّ، وأمّا الرّومان وخلفاؤهم فلمَا سمعوا بزحف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، أخذهم الرّعب فلم يجترئوا على التقدّم واللِّقاء، بل تفرّقوا في البلاد في داخل حدودهم فكان لذلك أحسن بالنسبة إلى سمعة المسلمين العسكريّة، في داخل الجزيرة وأرجائها النائيّة، فحصل بذلك المسلمون على مكاسب سياسيّة[3] كبيرة وخطيرة، بما لم يكونوا يحصلون عليها لو وقع هناك اصطدام بين الجيشين، جاء يحنة بن رويّة صاحب أيلة فصالح الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وأعطاه الجزية، وأتاه أهل جرباء وأهل أذرح، فأعطوه الجزية، وكتب لهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، كتابا فهو عندهم، وكتب لصاحب أيلة "بسم الله الرّحمن الرَحيم، هذه أمنة من الله ومحمَّد النبيّ رسول الله ليحنة بن رويّة وأهل أيلة، وسفنهم وسيّاراتهم في البّر والبحر لهم ذمّة الله وذمّة محمّد النبيّ ومن كان معه من أهل الشّام وأهل

---

[1]المصدر السابق: ص133.

[2]صفي الرّحمان المباركي: الرحيق المختوم، بحث في السيرة النّبوية، دار الفكر، د، ط، بيروت، لبنان، ص309.

[3]المرجع نفسه، ص30.

البحرين، فمن أحدث منهم حدثا، فإنّه لا يحول ماله دون نفسه ،وإنّه طيّب لمن أخذه من النّاس وأنَه لا يحلّ أن يمنعوا ما يردونه، ولا طريقا يريدونه من برّ أو بحر".

وبعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة الجندل في أربعمائة وعشرين فارسا، وقال له: "إنّك ستجده يصيد البقر"، فأتاه خالد، فلمّا كان من حصنه بمنظر العين، خرجت بقرة، تحكّ بقرونها باب القصر، فخرج أكيدر لصيده وكانت ليلة مقمرة، فتلقّاه خالد في خليه، فأخذه وجاء به إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فحقن دمه وصالحه على ألفي بعير، وثمانمائة رأس وأربعمائة درع، وأربعمائة رمح، وأقرّ باعطاء الجزية فقاضاه مع يحنة على قضيّة دومة وتبّوك وأيلة وتيماء. [1]

وأيقنت القبائل التّي كانت تعمل لحساب الرّومان أنّ اعتمادها على سادتها الأقدمين قد فات أوانه، فانقلبت لصالح المسلمين، وهكذا توسّعت حدود الدّولة الإسلامية، حتّى لاقت حدود الرّومان مباشرة، وشهد عملاء الرّومان نهايتهم إلى حدّ كبير.

ورجع الجيش الإسلامي من تبّوك مظفرين منصورين، لم ينالوا كيدا، وكفى الله المؤمنين القتال[2]. بعدها فيما بقي من شهور السّنة تتابعت وفود القبائل على دار الهجرة، ساعية إليها من كل وجه، تبايع الرّسول صلّى الله عليه وسلّم على الإسلام.

[1] المرجع السابق، ص111.

[2] المرجع نفسه، ص311.

أسلمت "ثقيف" وكانت قد امتنعت بالطّائف يوم حنين وقد وفد "همدان" على رسول الله عليه الصّلاة والسّلام مرجعه من تبّوك، وجاء وفد تميم"، وفيه:"قيس بن عاصم، وعطارد بن حاجب، والأقرع بن حابس، وعمرو بن الأهتم، والزبرقان بن بدر"، وجاء صِمام بن ثعلبة، في وفد "بني سعد بن بكر"، والجارود بن عمرو في وفد "عبد القيس" والأشعث بن قيس في وفد "كندة"، وصرد بن عبد الله، في وفد "الأزد"[1].

كما قدم وفد "طيء" وفيهم سيِّدهم الفارس'زيد الخيل" الذِّي قال المصطفى صلّى الله عليه وسلّم:"ما ذكر لي رجل من العرب ثم جاءني، إلاّ رأيته دون ما يقال فيه، إلاّ زيد الخيل فإنّه لم يبلغ كلّ ما كان فيه" ودعاه المصطفى: زيد الخير[2].

وممّا جاء في فضل الجهاد في سبيل الله تعالى:عن أبي هريرة–رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "تضمّن الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلاّ جهادا في سبيلي،وإيمانا بي، وتصديقا برسلي، فهو ضامن أن أدخله الجنّة، أو أرجعه إلى مسكنه الذّي خرج منه، نائلا ما نال من أجر أو غنيمة، والذّي نفس محمّد بيده، ما من كلْمٍ يكلم في سبيل الله تعالى، إلاّ جاء القيامة كهيئته يوم كلِم، لونه لون دم، وريحه مسك، والذّي نفس محمّد بيده، لولا أن يشقّ على المسلمين، ما قعدت خلاف سريّة تغزوا أبدا، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة، فيشقّ عليهم أن يتخلّفوا عنّي، والذّي نفس محمّد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله، فأقتل، ثمّ

[1]عائشة عبد الرّحمن–بنت الشاطئ–: مع المصطفى عليه الصّلاة والسّلام، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية 1400هـ، 1980م، بيروت، لبنان، ص323.

[2]المصدر نفسه، ص324.

أغزو فأقتل"[1]، وعن أبي موسى الأشعري قال: **قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:"من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله" متّفق عليه.**[2]

لذلك يعتبر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، الجهاد نور أسمى وسعادة قصوى بما قدّمه من مواقف بطولية، فيها التّضحية، ومحبّة الموت في سبيل إعلاء كلمة الله، فترى من هذه الرّسائل وسواها أن الإسلام أصبح شرطا من شروط المعاهدات، فقد دعا المصطفى عليه الصّلاة والسّلام البشر جميعا إلى نجاتهم من الضّلال وإنقاذهم من الكفر، ورفعهم إلى نور الهداية والإيمان وهذا ما سنحاول كشفه لاحقا.

رسالة النبيّ عليه الصّلاة والسّلام في العبادات:

العبادة: هي العبودية معنى وحقيقة، أنت عبد والله معبودك، فكلّ ما يأتي به العبد في طاعة معبوده هو العبادة. [3]

والعبادة اسم جامع لكلّ ما يحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال وأمر به، فكل ما أمرنا الله به ففِعله عبادة، وكلّ ما نهانا عنه فالابتعاد عنه عبادة، والعادات المشروعة مثل: الأكل، والشّرب، واللّباس، تصبح عبادات إذا قصد بها امتثال أمر الله سبحانه وتعالى، والاستعانة بها على طاعته.

ولا تكون العبادة صحيحة إلاّ إذا كانت خالصة له موافقة لشرعه، وجمعت بين غاية الخضوع والذلّ لله مع كمال المحبة له.

---

[1] فوزي شعبان: الأحاديث القدسية، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، 1424هـ، 2003م، بيروت لبنان، ص62

[2] الحافظ بن حجر العسقلاني: بلوم المرام من أدلة الأحكام، دار النهضة للطباعة والنشر، د ط، ص267.

[3] أبو علي المودودي: مبادئ الإسلام، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، بيروت، 1402هـ، 1982م، ص110.

والعبادة: هي الغاية التي خلق الله بها الخلق وأرسل لها الرّسل. وإذا كان الله سخّر للإنسان مافي السّموات وما في الأرض، فإنّما ذلك ليسخّر الإنسان كلّه في طاعة الله سبحانه وتعالى[1] **قال تعالى:"وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدوني"**[2].

ثلاث سنوات كانت للدّعوة السرّية، أبلغ فيها المصطفى خديجة وعليّا وزيدا وأبا بكر ورهطا من النّابهين الأصلاء، وكان قوام الدّعوة السريّة اللّقاء خفية، وممارسة الصّلاة –التّي امتاز بها الإسلام امتيازا مرموقا، رغم أنها–: أصلا–وجدت في الدّيانات الأخرى، بتعبيرات جزئية، متقطّعة، رمزية على نحو محدود. لكنّها –في الإسلام، أصبحت منذ البدء العمود الفقري للدّيانة، فهي محتوى وشكل العبادة التّي يسلّم فيها المسلم، المؤمن، أمره لله في الوقوف والرّكوع والسّجود.

كم هي–ظاهريا–بسيطة إيقاعية السّجود، إلاّ أنّها –في حقيقتها–عمل بطوليّ على صعيد الفكر والسّياسة، كما على صعيد الرّوحانية، إنّها شطبت–حالما ابتدأت في الصّلاة–على السّلطان الدّنيوي، على عرض الفراعنة القساة والطّغاة سلطان المارقين، وأعداء الإنسان.

لقد ضمّت سلطان الوثن وسلطان المال، وسلطان السّياسة وجميع رموز الظّلم والعدوان، في سلّة واحدة ورميها بعيدا، متحدّية، إيّاها بقوّة الانتساب إلى:" لا إله إلاّ الله، التّي فتحت عين الإنسان على وجوده الحقيقي، وعلى حقوقه الإنسانية المهدورة[3].

---

[1]عبد الله الوظّاف، أحمد سلامة، عبد المجيد الزنداني، فيصل عبد العزيز، جزام البهلولي، توحيد عبد الحميد، كتاب الإيمان، دار القلم، الطبعة الأولى، 1982، بيروت لبنان، ص136

[2]القرآن الكريم: سورة الذّاريات، الآية56.

[3]عزيز السيد جاسم: محمّد الحقيقة العظمى، دار الأندلس، الطّبعة الأولى، 1407هـ، 1987م، بيروت لبنان، ص91.

لقوله **صلّى الله عليه وسلّم:**"**رأس الأمر الإسلام، وعموده الصّلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله**" وهي أوّل ما أوجبه الله تعالى من العبادات، تولّى إيجابها بمخاطبة[1] رسوله ليلة المعراج من غير واسطة، قال أنس:"فرضت الصّلاة على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ليلة أسرى به خمسينا، ثم نقصت حتى جعِلتْ خمسا، ثم نودي يا محمّد: إنّه لا يبدّل القول لديّ، وإن تك بهذه الخمس خمسين" رواه أحمد والنّسائي والتّرميذي صحّحه.

وهي أوّل ما يحاسب عليه العبد يوم القيّامة، وهي آخر وصيّة وصّى بها رسول الله عليه الصّلاة والسّلام، أمّته عند مفارقته الدّنيا، جعل يقول وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة-:"الصّلاة الصّلاة، وما ملكت أيمانكم" وهي آخر ما يفقد من الدّين، فإن ضاعت ضاع الدّين كلّه"[2].ولقد أسرى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بجسده -على الصّحيح من قول صحابه-من المسجد الحرام إلى بيت المقدس راكبا البراق صحبة جبريل عليه سلام، فنزل ثم(أمّ) بالأنبياء عليهم السّلام ببيت المقدس فصلّى بهم، ثم عرج تلك اللّيلة من هناك إلى السّموات السّبع ورأى بالأنبياء على منازلهم، ثمّ عرج

[1]محمّد السيد سابق: فقه السنّة، ج1، دار الفتح للإعلام العربي، الطبعة الأولى 1421هـ، 2000م، مصر، القاهرة، ص63.

[2]المرجع نفسه ، ص63.

على سدرة المنتهى ورأى جبريل عليه السّلام على الصّورة التّي خلقه الله بها، وفرضت عليه الصّلوات الخمس تلك اللّيلة[1].

ثمّ فرض بعدها الصّيام بالمدينة في السّنة الثانية من شهر شعبان على الأمّة الإسلامية، وكان عليه السّلام قبل ذلك يصوم ثلاثة أيّام من كل شهر، والصّيام من دعائم هذا الدّين، والفرائض التّي بها النّظام، فإنّالإنسان مجبور على حبّ نفسه، والسّعي فيما يعود عليها بالنّفع الخاص، تاركا ما وراء ذلك من حاجات الضّعفاء،[2] لذلك أعظم الله على عباده المنّة بما دفع عنهم كيد الشّيطان وخيّب ظنّه، إذ جعل الصّوم حصنا لأولياءه وجنّة، **وقد جاء عنه صلّى الله عليه وسلّم:**"**الصّوم نصف الصّبر**".

قال تعالى:" **إنّما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب**"[3] فقد جاز ثواب الصّوم قانون التّقدير والحساب، ناهيك في معرفة فضله **قوله صلّى الله عليه وسلّم:**"**والذّي نفسي بيده لخلوف فم الصّائم أطيب عند الله من رّيح المسك، هو موعود بلقاء الله تعالى في جزاء صومه**"، **قال صلّى الله عليه وسلّم:**"**للصّائم فرحتان: فرحة عند إفطاره وفرحة عند لقاء ربّه**" ويدعى شهر رمضان

[1]تقيّ الدّين أحمد بن علي المقريزي: إمتاع الأسماع بما للنبّي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمّد عبد الحميد النّميسي، دار الكتب العلميّة، الطّبعة الأولى، 1420هـ، 1999م، بيروت، ص46.

[2]محمد حضري بك: تحقيق محمّد الدّين الجراح: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، الطّبعة الثانية، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، ص121.

[3]القرآن الكريم: سورة الزّمر: الآية 10.

بشهر القرآن أيضا... ويحدِّث المحدِّثون عن العلاقة الحميمية بين زمان رمضان وبين وحي القرآن. يتوقّفون عن ليلة القدر، وهي ليلة من لياليه، ليستمتعوا ويمتِّعوا بالتّحدّث عن فضلها.

أخبرنا محمّد بن عمر، أخبرنا عبد الله بن عبد الرّحمن الجمحي عن الزّهري عن عروة عن عائشة قال: وأخبرنا عبيدا الله بن عمر بن نافع عن ابن عمر قال:أخبرنا عبد العزيز بن محمّد عن ربيح بن عبد الرّحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن جدّه قالوا: نزل فرض شهر رمضان بعدما صرِفت القِبلة إلى الكعبة بشهر في شعبان على رأْس ثمانية عشر شهرا من مهاجر رسول الله صلّى الله عليه و سلّم، و أمر رسول الله صلّى الله عليه و سلّم، في هذه السّنة بزكاة الفطر، وذلك قبل أن تفرض الزّكاة في الأحوال، و أن تخرج عن الصّغير والكبير، والحرّ والعبد، والذّكر والأنثى، صاع من تمر، أو صاع من شعير، أو صاع من زبيب، أو مدّان من برّ[1].

ولقد أكّد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم–في المدينة فرضيّة الزّكاة، وبيّن مكانها في دين الله، وأنّها أحد الأركان الأساسيّة لهذا الدّين، ورغب في أدائها ورهّب من منعها بأحاديث شتّى، وأساليب متنوّعة، تقرأ في حديث جبريل المشهور حين جاء يعلم المسلمين دينهم بحسن السّؤال: أنّه –سأل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم–ما الإسلام؟ **فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم:"الإسلام أنْ تشهد أنْ لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّدا رسول الله وتقيم الصّلاة وتؤتي الزّكاة وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا".**[2]

---

[1]محمد بن سعد بن منيع الزهري: كتاب الطبقات الكبير، ج1، ص214

[2]يوسف القرضاوي: فقه الزّكاة، دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسّنة، فقه السّنة، الطبعة السابعة، 1404هـ، 1984م، ج 1، ص72.

وفي حديث ابن عمر المشهور:"بنِي الإسلام على خمس:شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّدا رسول الله، وإقام الصّلاة وإيتاء الزّكاة، وصوم رمضان، وحجّ البيت لمن استطاع إليه سبيلا" متّفق عليه.

أعلن الرسول عليه الصّلاة والسّلام في هذين الحديثين وغيرهما أنّ أركان الإسلام خمسة، بدأها بالشّهادتين وثناها بالصّلاة، وثلثها بالزّكاة.

فالزّكاة في السّنة–كما هي في القرآن–ثالثة دعائم الإسلام، التّي لا يقوم بناؤه إلاّ بها، ولا يرتكز إلاّ عليها.

وقد اكتفي النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، في بعض الأحيان بذكر بعض هذه الأركان الخّمسة دون بعض، بيد أنّ الصّلاة والزّكاة كانتا دائما فيما يأمر به ويدعوا إليه، ويبايع عليه ومن ذلك حديث ابن عبّاس رضي الله عنهما:أنّ النبيّ صلّى الله عليه و سلّم، لمّا بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن (أي واليا وقاضيا،سنة عشرة للهجرة) قال:إنّك تأتي قوما، فادعهم إلى شهادة أنْ لا إله إلاّ الله وإنّي رسول، فإنْ هم أطاعوا لذلك، فاعلمهم أنّ الله عزّ وجلّ افترض عليهم خمس صلوات في كلِّ يوم وليلة، فإنْ هم أطاعوا لذلك فاعلمهم أنّ الله تعالى افترض عليهم صدقة في أموالهم، تؤخذ من أغنيائهم وتردّ إلى فقرائهم فإنْ أطاعوا لذلك فإيّاك وكرائم أموالهم، واتّق دعوة المظلوم، فإنّه ليس بينها وبين الله حجاب"[1].

[1]محمد السيّد سابق: فقه السّنة، ج3، ص235.

ولذلك فإنّ الزّكاة هي الرّكن المالي الاجتماعي من أركان الإسلام الخمسة، وبها مع التّوحيد وإقامة الصّلاة يدخل المرء في جماعة المسلمين، ويستحقّ أخوّتهم والانتماء إليهم[1] كما **قال الله تعالى:**"**فإنْ تابوا وأقاموا الصّلاة وآتوا الزّكاة فخلوا سبيلهم، إنّ اللّه غفور رحيم**"[2]وهي إنْ كانت تذكر في باب العبادات باعتبارها شقيقة للصّلاة تعدّ في الحقيقة جزءا من نظام الإسلام المالي والاجتماعي[3] فقد بعث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، رسائل عدّة يأمرهم فيها بإقامة الفرائض التّي أوجبها الله عزّ وجلّ ومن تلك الكتب كتابه صلّى الله عليه وسلّم إلى وائل بن حجر الحضرميِّ الذّي يقول فيه:"من محمّد رسول الله إلى الأقيال العباهلة، والأرواع المشابيب من أهل حضرموت بإقامة الصّلاة، وإيتاء الزّكاة: في التِّيعة شاة لا معوّرة الألياطِ ولا ضِناك، وانطو الشبجة والتِّيعة لصاحبها، وفي السّيوب الخمس، لاخلاط؛ ولا وراط ولا شناق ولا شغار، ومن أجبى فقد أربي، وكلّ مسكر حرام. "[4]

وكتابه صلّى الله عليه وسلّم إلى أهل البحرين:"**وأمّا بعد فإنّكم إذا أقمتم الصّلاة، وآتيتم الزّكاة، ونصحتم لله ورسوله، وآتيتم عشرالنّخل؛ ونصف عشر الحبِّ ولم تمجِّسوا أولادكم، فلكم ما أسلمتم عليه، غير أنّ بيت النّار لله ورسوله، وإنْ أبيتم فعليكم الجِزية**"[5].

---

[1]يوسف القرضاوي: فقه الزّكاة، ص.7

[2]القرآن الكريم: سورة التّوبة، الآيات ص:1-5.

[3]يوسف القرضاوي: فقه الزّكاة، ص7.

[4]أحمد بن محمد بن عبد ربِّه الأندلسي: العقد الفريد، ج1، ص 206-207

[5]أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب، ص47.

ولقد جعل الله البيت العتيق مثابة للنّاس وأمنا وأكرمه بالنِّسبة إلى نفسه تشريفا وتحصينا ومنّا، وجعل زيارته والطّواف به حجابا بين العبد وبين العذاب ومِجنّا. والحجِّ من بين أركان الإسلام ومبانيه عبادة العمر وتمامِالإسلام وكمالِ الدِّين[1]، **وعن أبي هريرة قال:سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول:"من حجّ فلم يرفث ولم يفسق رجع كيومِ ولدته أمّه" [2] متّفق عليه.**

وعن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:"أيّها النّاس كتِب عليكم الحجّ فقيل: يا رسول الله أفي كلّ عام؟ قال لا، ولو قلتها لوجبت، الحجّ مرّة واحدة فما زاد فهو تطوّع"

قالوا: حجّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبل هجرته إلى المدينة حجّتين، ولم يحج بعد الهجرى إلاّ حجّة الوداع، وهي في السّنة العاشرة، وكانت فريضة الحجِّ نزلت في السّنة السادسة من الهجرة، فتحت مكّة في سنة ثمان، فاستخلف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عتاب بن أسيد، فحجّ بالنّاس تلك السّنة، وفي السّنة التّاسعة حجّ أبو بكر الصِّديق رضوان الله عليه بالنّاس، فلمّا كان في السّنة العاشرة أذّن في النّاس أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، حاجّ فقدِم إلى المدينة بشر كثير كلّهم يلتمس أن يأتمّ برسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ويعمل مثل:عمله، وخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ممّن في المدينة مغتسلا مدّهِنا مترجِّلا متجرِّدا في ثوبين صحاريِّين:إزار ورداء[3]، وذلك يوم السّبت لخمس ليال بقين من ذوي العهدة سنة عشر من مهاجرة، واستعمل على

[1] محمد جمال الدّين القاسمي: موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدّين، ص112

[2] الإمام النّووي: رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين صلى الله عليه وسلّم، قدّمه: إبراهيم قلاتي، دار الهدى، 2001م، عين مليلة، الجزائر، ص425.

[3] شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهاب النّويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج1، ص263.

المدينة أبا دجانة الساعديّ–ويقال:سباع بن غرفطة الغفاريِّ–قالوا: وصلّى الظّهر بذي الحليفة ركعتين وأخرج معه نساءه كلّهن في الهوادج و أشعر هدْيه وقلّده، ثم ركب ناقته، فلمّا استوى عليها بالبيداءِ أحرم من يومه، وكان على هدية ناجية بن جندب، وقيل: إنّه أهلّ بالحجّ مفردا وقيل:قرنه بعمرة، ومضى صلّى الله عليه وسلّم، يسير المنازل ويؤمّ أصحابه في الصّلاة في مساجد له قد بناها النّاس، فكان يوم الاثنين بمرِّ الظهران، فغربت له الشّمس بسرف، ثمّ أصبح فاغتسل ودخل مكّة نهارا وهو على راحلته القصْواء، وكان تحته صلّى الله عليه وسلّم رحل رثٍّ عليه قطيفة لا تساوي أربعة دراهم، وقال:"اللّهمّ اجعله حجّا لارياء فيه ولا سمعة". فدخل من أعلى مكّة من كداء حتّى انتهى إلى باب بني شيبة، فلمّا رأى البيت رفع يديه فقال: "اللّهم زد هذا البيت تشريفا وتعظِّيما وتكريما ومهابة، وزد من شرّفه وعظّمه ممّن حجّه واعتمره تشريفا وتكريما ومهابة وتعظيما وبرّا"؛ ثمّ بدأ فطاف بالبيت، ورمل ثلاثة أشواط من الحِجر إلى الحِجر، وهو مضطبع بردِائه، ثم صلّى خلف المقامِ ركعتين، ثمّ سعى بين الصّفا والمروة على راحلته من فوره ذلك، وان قد اضطرب بالأبطحِ، فرجع إلى منزله...[1]

قال الله عزّ وجلّ:"براءة من الله ورسوله إلى الذّين عاهدتهم من المشركين، فسيِّحوا في الأرض أربعة أشهر–واعلموا أنّكم غير معجزي الله وأنّ الله مخزِي الكافرين، وآذان من الله ورسوله إلى النّاس يوم الحجِّ الأكبر أنّ الله بريء من المشركين ورسوله، فإن تبتم فهو خير لكم و إن تولّيتم فاعلموا إنّكم غير معجزي الله وبشِّر الذّين كفروا بعذاب أليم إلا الذّين عاهتهم

[1]المصدر السابق، ص263.

من المشركين ثمّ لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتمّوا إليهم عهدهم إلى مدّتهم إنّ الله يحبّ المتّقين فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم و اقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا و أقاموا الصّلاة و آتوا الزّكاة فخلّوا سبيلهم إنّ الله غفور رحيم"[1]. صدق الله العظيم

هذه السّورة الكريمة من أواخر ما نزل على رسول الله صلّى الله عليه و سلّم، وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأوّل هذه السّورة الكريمة نزل على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لمّا رجع من غزوة تبّوك وهم بالحجّ، ثم ذكِر أنّ المشركين يحضرون عامهم، هذا الموسم على عادتهم في ذلك وأنّهم يطوفون بالبيت عراة، فكره مخالطتهم و بعث أبا بكر الصّديق رضي الله عنه أميرا على الحجّ تلك السّنة ليقيم للنّاس مناسكهم و يعلِم المشركين أنْ لا يحجّوا بعد عامهم هذا، وأنْ ينادي في النّاس (براءة من الله ورسوله) فلمّا قفل اتّبعه بعليْ بن أبي طالب ليكون مبلِّغاعن رسول الله لكونه عصبة له[2].

وقال أبو معشر المدني: حدّثنا محمّد بن كعب القرظي وغيره قالوا: بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، أبا بكر أميرا على الموسم سنة تسع، وبعث علي بن أبي طالب بثلاثين آية أو أربعين من آية براءة فقرأها على النّاس، يؤجل المشركين أربعة أشهر يسبِّحون في الأرض فقرأها عليهم

[1] القرآن الكريم: سورة التوبة الآية 1-5.

[2] الحافظ عماد الدين آبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرين الكريم العظيم، دار الأندلس، الطبعة الثالثة، 1401هـ1981م، ج 3، ص357.

يوم عرفة أجلهم عشرين من ذي الحجّة ومحرّم وصفر وشهر ربيع الأوّل وعشرا من ربيع الآخر، وقرأها عليهم في منازلهم وقال: لا يحجنّ بعد عامنا هذا مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان.

وقال ابن أبي نجيح؛عن مجاهد (براءة من الله ورسوله) إلى أهل العهد خزاعة ومدلج ومن كان له عهد أو غيرهم، فقفل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، من تبّوك حين فرغ فأراد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الحجّ ثمّ قال:"إنّما يحضر المشركون فيطوفون عراة فلا أحبّ أنْ أحجّ حتّى لا يكون ذلك" فأرسل أبا بكر وعليّا رضي الله عنهما فطافا بالنّاس في ذي المجاز بأمكنتهم التّي كانوا يتبايعون بها وبالمواسم كلِّها، فآذنوا أصحاب العهد بأن يؤمنوا أربعة أشهر فهي الأشهر المتواليات عشرون من ذي الحِجّة إلى عشر يخْلون من ربيع الآخر ثم لا عهد لهم، وآذن النّاس كلّهم بالقتال إلاّ أن يؤمنوا.[1]

ومن هذا نشهد مشاهد من حجّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ولفتته إلى تعليم النّاس مناسك الحجِّ، وفي ذلك نلمس تعليما للتّواضع والابتعاد عن الاستعلاء بتقديم الهدى.

والعبادات من صلاة وزكاة وصوم وحجِّ، إنّما هي إلاّ تجسيد لسلوك النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وفرائض دينية فرِضت من الله تعالى على عبده وعمل عليه الصّلاة والسّلام على تبليغ هذه الرِّسالة وما احتوت عليه من كيفية ممارسة هذا الدِّين، صلاة وزكاة وصوما وحجّا وما إلى ذلك... من الأمور التي أوجبها الله في كتابه العزيز.

[1] المصدر السابق، ص357، 358.

الفصل الثاني: الوظيفة الجمالية لرسالة النبي صلى الله عليه وسلم

المبحث الأول: الصّورة الفنية

تمهيد

- **الإستعارة**
- **المجاز**

المبحث الثاني: البّناء اللّغوي

تمهيد

أولا: بناء الجملة الإسمية والفعليّة

ثانيا: التّركيب الإنشائي

ثالثا: التّقديم والتّأخير في الجملة

المبحث الثالث: البنية الإيقاعية للنص

تمهيد

أولا: السّجع

ثانيا: الجهر والهمس

ثالثا: التّكرار

المبحث االرّابع: البنية التنّاصيّة

المبحث الخامس: السّرد وأشكاله:

- **القصّة**
- **الحبكة**
- **الصّيغة السردية**
- **الحوار**

الصّورة الفنّية في الرّسالة:

تحتل الصّورة الفنّية حيّزًا مُهمًا في ميدان الدّراسات الأدبية والنّقدية، والبلاغية، من حيث الاهتمام بتحديد ماهيّتها ووظيفتها في العمل الأدبي "فالصّورة في اللّغة، الشّكل والصِّفة والنّوع، وهي الشّكل الهندسي المؤلّف من الأبعاد التِّي تحدّد نهايات الجسم بصورة الشّمع المفرغ في القالب، فهي شكله الهندسي"[1]، فالصّورة الفنّية هي جوهر الأدب سواء كان نثرا، أم نظما، باعتبارها أداةً قادرةً على الخلق والإبداع، وأيضا تشكيل لغوي يكوّنها خيال المبدع، فهي تلعب دورا بارزًا في إطار النّثر، فقد اهتمّ جميع الأدباء وفي مختلف العصور الأدبية بادخال الفنون البلاغية في نثرهم، حيث أنّها تضفي مسحة من الإبداع والتأنّق الفنّيين، فالعرب قد اشتهروا بفصاحتهم وبلاغتهم، وقد وظفوا بذلك الصّورة الفنّية بكلّ ما تتميّز به من عناصر التّصوير والتّخييل لتكون بذلك المدخل الأوّل أو المقدّمة الأولى في إدراك المعنى وتمثّله وجماليته.

والنّبي صّلى الله عليه وسلّم نجده في هَذه الرّسالة قد مثّل للصورة الفنّية أحسن تمثيل، حيث وظّف ركنين من أركانها وهُما المجاز والاستعارة اللّذان كان لهما وقْعٌ وأثرٌ كبيرين رسمهُما الخيال القائم على التّداخل والإندماج بين العناصر المكوّنة للرّسالة وهو ما سيبين لنا من خلال هذا المبحث.

[1] رمضان الصبّاغ: عناصر العمل الفنّي، دراسة جمالية، دار الوفاء، د.ط، د ت، الإسكندرية، ص36

الأشكال البلاغية للصّورة الفنّية:

أوّلا-الإستعارة:

1- مفهومها:

لقد حظيت الإستعارة بقدر كبير من اهتمام البلاغيين والأدباء، حيث شغلت حيّزًا كبيرا من الدّراسات البلاغية، وهو ما دّل عليه عبد القاهر الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة حيث قال:" اعلم أن الاستعارة في الحقيقة هي أهمّ ميدانا، وأشدّ افتنانا، وأكثر جريانا، وأعجب حسنا وإحسانًا، وأوْسَعُ سعة، وأبعد غورًا وأذهبُ نجدًا في الصِّناعة وغوْرًا، من أن تجْمَع شُعَبُهَا وشعوبها، وتحصر فنونها وضروبها، نعم وأسحَرُ سحرًا، وأملأُ بكلِّ ما يملأ صدرًا ويُمْتِعُ عقلاً، ويؤنسُ نفسًا، ويوفزُ أنسًا، وأهدى إلى أن تهدى إليك عذَارَى قد تخيّر لها الجمال، وعني بها الكمال..." وقوله أيضا: ومن الفضيلة الجامعة فيها: " أنّها تبرز هذا البيان أبدًا في صورة مستجدة تزيد قدرهُ نبلًا، وتُوجبُ له بعد الفضلِ فضلًا، وإنّك لا تجد اللّفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد، حتّى تراها مكرّرة في مواضع، ولها في كلِّ واحد من تلك المواضع شأن مفرَدٌ، وشرفٌ منفرد وفضيلة مرموقة، وخلابة مرموقة"[1] فالاستعارة أن تريد تشبيه الشّيء بالشّيء، فتدَعَ أن تفصح بالتّشبيه وتظهره وتجيء إلى اسم المشبّه به فتعيره المشبّه وتجريه عليه "[2] فهي لفظ استعمل في غير المعنى الذي وُضِعَ له

---

[1] عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة: اعتنى به محمّد فاضلي: بحاث للنّشر والتّوزيع، الطّبعة الأولى 2007، الجزائر، ص39.

[2] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علوم المعاني: تصحيح وتعليق: محمّد رشيد رضا، دار المعرفة، د ط، 1402هـ-1981م، بيروت لبنان، ص3.

لعلاقة المشابهة بين المعنيين مع وُجود قرينة تمنع من أن يكون المُرادُ هو المعنى الأصلي "وهذا يعني أنّها وضعٌ اللّفظ والكلمة في غير موضعها الأصلي.

2- أنواعها:

يقول عبد القادر عبد الجليل في تقسيم الإستعارة:"الإستعارة من حيث ذكر أحد طرفيها تنقسم إلى تصريحية ومكنية وهو تصنيف قائم على النقل، والإعارة في المستويين السّطحي والعميق"

أ -الإستعارة التّصريحية: ما صُرّحَ فيها بلفظ المُشَبّه به بعد حذف المشبّه.[1]

ب-الإستعارة المكنية (أو بالكناية): ما لُفظ في الكلام لفظ المشبّه فقط، وحذف فيه المشبه به، وأُشير إليه بذكر لازمة المسمّى "تخييلا".

أمّا أركان الإستعارة ثلاث:

1/ مستعار منه، وهو المشبّه به

2/ مستعار له، وهو المشبّه (ويقال لهما الطرفان)

3/ ومستعار وهو اللّفظ المنقول.[5]

-الإستعارة المكنية:

من التّراكيب الإستعارية البلاغية في رسالة النّبي صلّى الله عليه وسلّم، الإستعارة المكنية. وهي ما حذف فيها المشبه به ورُمز إليه بشيء من لوازمه، والذِّي يلاحظ إستعارات النّبي صلّى

[1]عبد القادر عبد الجليل:الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، دار صفاء للنّشر والتّوزيع، الطبعة الأولى، 2002م-1432، عمّان، ص466.

الله عليه وسلّم، يدرك أنّها مستقاة من الذّكر الحكيم، فهي معجزة إعجاز كلامه عز وجلّ، ويظهر ذلك في قوله: "**يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سوَاءٍ بيننا وبينكم، ألاّ نعبد إلاّ الله، ولا نشرك به شيئاً**"[1]، فقد ذكر الكلمة وأراد بها الإسلام واستعار لها كلمة سواءٍ، أي عَدْل وهي نعت للكلمة حيث حذف المشبّه به الإسلام ورُمز له بأحد لوازمه وهو العدْلُ وسياق الدّعوة يتحدّث عن دعوة الله عزّ وجلّ أهل الكتاب إلى الإسراع في الدّخول إلى الإسلام، فقد عكست الإطار التّعبيري للرّسول صلّى الله عليه وسلّم، في ترغيب أهل الكفر إلى الإيمان بالله وحده لا شريك له .

ثانيا – المجاز:

"والقول في المجاز هو القول في الإستعارة لأنّه ليس هو بشيء غيرها وإنّما الفرق أنّ المجاز أعمّ من حيث أن كل استعارة مجاز وليس كل مجاز استعارة "[2]

والمجاز مَفْعَلٌ، واشتقاقه إمّا من الجواز الذِّي هو تعدّي في قولهم "جُزْتُ موضِعَ كذا "إذا تعدّيتهُ، أو من الجواز الذّي هو نقيض الوجوب، والامتناع، وهو في التّحقيق راجع إلى الأوّل لأنّ الذّي لا يكون واجبا ولا ممتنعًا يكون متردِّدا بين الوجوب والعدم فكأنّه ينتقل من الوجود إلى العدم، أو من العدم إلى الوجود"[3] ويعرّفه عبد القاهر الجرجاني في كتابه " أسرار البلاغة" بأنّه: كل كلمة

---

[1]أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب: ص38.

[2]عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علوم المعاني: ص356.

[3]يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، الطّراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مكتبة المعارف، د ط، 1400هـ –1980م، بيروت لبنان، ج1، ص63.

أُريد بها غير ما وُضعت لهُ في وضع واضعها لملاحقة بين الثاني والأوّل"[1] وهو أيضا عند الدكتور أحمد الهاشمي:" اللّفظ المستعمل في غير ما وُضع له لعلاقة مع قرينة دالّة على عدم إرادة المعنى الأصلي" والعلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي قد تكون المشابهة وقد تكون غيرها فإذا كانت المشابهة فهو استعارة، وإلاّ فهو مجاز مرسل.

"والقرينة قد تكون حالية، وقد تكون لفظية"، [2]وهذا ما أكّده الإمام إبراهيم العلوي اليمني في كتابه الطّراز حين قال: "اعلم أنّ المجاز واسع الخطو في الكلام كثير الدوْرِ فيه وليس يخلو حاله إمّا أن يكون واردًا في مفردات الألفاظ، أم في مركّباتها، أو يكون واردًا فيها جميعًا "[3]

وبعد تفحّصنا لرسالة النّبي صلّى الله عليه وسلّم، إلى قيصر الرّوم هرقل التمسنا فيها مجازا مرسلا تخلّلته الآية الكريمة وذلك في قوله:" **يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سَوَاءً بيننا وبينكم**" فالكتاب مجاز مرسل علاقته العموم ودلالته "كون الشيء شاملا لكثير"[4]، فإنّ المراد من الكتاب واحد، وهم الكفّار والنّصارى، المرتدِّين عن دين الله.

ومن ذلك نجد أن النّبي صلّى الله عليه وسلّم، وظّف الصّور البيانية بطريقة تستهوي القارئ، إلى أن يهيم بخياله في غِمار هذه اللّغة الفسيحة وتهتزّ نفسه بمثل هذا الكلام المُعجَزْ البليغ وتلين قلوب السّامع لهذا البيان المحكم، وتلك هي بلاغة المصطفى التِّي تكشف حقيقة اللِّسان و في هذا

---

[1]عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة: ص264.

[2]أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة: ص179.

[3]إبراهيم العلوي اليمني: مصدر سابق ص 69.

[4]أحمد الهاشمي: مرجع سابق: ص.181

المقصد نورد قول أحمد حسن الزيات " إنّ بلاغة الرّسول من صنع الله، وما كان من صنع الله تضيق موازين الإنسان عن وزنه، وتقصر مقاييسه عن قياسه، فنحن لا ندرك كُنْهَهُ وإنّما ندرك أثَرَهُ، ونحن لا نعلم إنْشاءَهُ وإنّما نعلم حبرَهُ، هل يدرك المرء من آثار الشمس غير الضّوء والحرارة، وهل يعلم من أسرار الرّوض غير العطر والنّضارة، وهل يجد من أغوار البحر غير الشّعور بالجلال والرّوعة، إنّ البلاغة النّبوية هي المثل الأعلى للبلاغة العربية، وإذا كان كتاب الله كتاب البيان المعجز، فإنّ كلام الرّسول سنّة هذا البيان وإذا كان البلاغ صفة كلِّ رسول، فإنّ البلاغة صفة محمّد وحدهُ".[1]

وقد وظّف الصّور البلاغية في الرّسالة النّبوية بنسبة 14.28% ودليل ذلك أن النّبي صلّى الله عليه وسلّم، ابتعد كثيرا عن توظيف الخيال لأنّه في مقام يحتاج بالدّرجة الأولى إلى أساليب وصور تنِمُّ عن المقال الذِّي هو بصدد الإفصاح والإخبار عنه فجاءت رسالته سهلة واضحة من حيث المعنى والمبنى وهو الغرض الذِّي يسعى إليه لإقناع المُرْسَلْ إليه أو متلقِّي الرِّسالة وأيضا يرجع هذا الاستعمال الضئيل للصّور البيانية بحكم أنّ لغة النّثر هي لغة العقل والمنطق لذلك فهي لغة مباشرة تستخدم الألفاظ استخداما مطلقا مباشرا.

[1] أحمد حسن الزيات: تاريخ آداب العرب: ص109

البناء اللّغوي

تعتبر اللّغة الوعاء الذّي تنصهر فيه أفكار الإنسان، وأحاسيسه ومشاعره، وهي النّواة الأساسيّة التّي ينبني عليها الفكر الحضاري المتقدِّم للشّعوب باعتبارها وسيلة للتواصل بين الإنسان وأخيه الإنسان، والتّي تعود عليه بالفائدة والنّفع، وأخذت هذه الأخيرة تتطوّر عصرًا بعد عَصْرٍ، "حيث كان لظهور الإسلام تأثير كبير في اللّغة العربية وأساليبها وألفاظها، لتشرب قرائح المسلمين روح القرآن، و طبيعي أنّ الكاتب تتكيّف معه ملكة اللّغة في مقتضى محفوظه من أشعارها وأمثالها وأساليبها، فلا غور إذا ظهرت أساليب القرآن وألفاظه في لغة المسلمين"[1] وما من لغة إلاّ لديها نظام ثابت إلى حدٍّ ما، لا يتغيّر إلّا بقدر يسير تستلزمه في أصواتها وألفاظها، وتراكيبها فيربط بينها ربطًا مُحكَمًا تفرضه قوانينها العامّة[2]" ومعنى ذلك أن اللّغة تعبير له دلالات تحمله مجموعة معينة من الكلمات والجمل التّي بواسطتها يكتمل المعنى ويتحقّق، إذ يقول تشومسكي في تعريفه للّغة: "نطلق اسم اللّغة من الآن فصاعدا، على مجموعة محدودة أو غير محدودة من الجمل وتمتاز كل جملة بطول محدّد، وتتكوّن من مجموعة من العناصر"، ويقول سويسر:" بأنّها نظام من الرّموز، فالأصوات لا تعدّ لغة إلاّ إذا نقلت الأفكار أو عبّرت عنها "[3]، وما دام قوام القول من

[1] جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، مراجعة: شوقي ضيف، دار الهلال، طبعة جديدة، ج1، ص196.

[2] محمّد خان: لغة القرءان الكريم: دراسة لسانية تطبيقية للجملة في سورة البقرة، دار الهدى، الطّبعة الأولى، 2004، عين مليلة، الجزائر، ص15.

[3] جون ستروبك: البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلي دريدا، ترجمة: محمد عصفور، عالم المعرفة، د ط، 1996م، ص192.

اللّغة فقد عني الكثير من الباحثين بالجملة وتركيبها، وبالإنشاء ودلالته وإيحاءاته من أمر ونهي ونداء، ومنه سنحاول في هذا المبحث الكشف عن أهمِّ الملامح الأسلوبية في لغة الرّسالة النّبوية.

أوّلا –بناء الجملة الإسمية والفعلية:

تعد الجملة البنية الأولى في تشكيل الفقرة، وذلك لما لها من مسائل بلاغية وجمالية، وبناء الجملة له علاقة وثيقة بين الجملة والجملة في الفقرة الواحدة، وذلك على مستويين، نحوي وبلاغي، اللّذان يدخلان في تحديد المعنى وترابطه، وأيضا بانسجامه من خلال بناءه الموسيقي، ففي هذا المبحث سنحاول تبيان هذا البناء التّركيبي الذِّي له دور كبير من حيث بناء النّص وأثره الجمالي.

فالجملة وحدة الإبلاغ الأولى، تتألّف من عنصري الإسناد في أساسها، فتتكوّن الجملة التّوليدية أو النّواة، وعندما يحدث فيها تغيير، تصير جملة تحويلية، فمنها الخبرية الإسمية والفعلية، البسيطة والمركبة، ومنها الطّلبية ومنها الإفصاحيه التّي ينبغي أن تفرد بالتصنيف والتحليل[1] وهي تركيب إسنادي يفيد فائدة تامة يحسن السّكوت عنها، والغاية منها الإتّصال والتفاهم بين أعضاء الجماعة اللّغوية، وتكون الجملة إمّا إسمية أو فعلية:

1–فالجملة الإسمية: تفيد بأصل وضعها ثبوت شيءٍ لشيءٍ ليس غير[2]، وهي تركيب إسنادي يتكوّن من مبتدأ تسند فيه الكلمة أو أكثر تعرف نحويا بالخبر الذِّي تتمّ به الفائدة[3]، وقد رسمت

[1] محمد خان: لغة القرآن الكريم دراسة لسانية تطبيقية للجملة في سورة البقرة: ص17.

[2] أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان: ص51.

[3] محمد خان: مرجع سابق: ص76.

الجملة الإسمية في رسالة النّبي صلّى الله عليه وسلّم إطارًا فنّيا له سماته الجمالية لارتباطها بعناصر التّركيب البلاغي، ونوردها حسب التّرتيب كما يلي:

- "**بسم الله الرّحمان الرّحيم، من محمّد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الرّوم** "[1] فقد بني تركيب هذه الجملة كما يلي:

حرف جر + اسم مجرور + مضاف إليه + صفة

↓ ↓ ↓ ↓

(الباء) (اسم) (الله) (الرحمن الرحيم)

وقد تحقّق التّوازن بين عناصر هذه الجملة المركبة للسّياق وذلك من خلال توظيف عنصر الجناس في قوله: "الرّحمان الرّحيم" وهو ما رَصَدَ لنا تناغمًا موسيقيا كان له دور في بداية بناء إيقاع منتظم في الرِّسالة.

- " **من محمّد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الرّوم** " كان بناء هذه الجملة كما يلي:

[حرف جر + اسم مجرور + مضاف إليه + حرف عطف + اسم معطوف]

↓ ↓ ↓ ↓ ↓

من محمد عبد الله الواو رسوله

\+ [حرف جر + اسم مجرور + صفة + مضاف إليه]

↓ ↓ ↓ ↓

إلى هرقل عظيم الروم

[1] أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب: ص38.

وجاء هذا الرّبط بين تراكيب الجملة محكما متناسقا بحروف الجرِّ المتمثِّلة في "من" ،"إلى" ممّا خلق بناء محكما وترتيبا معنويا محكما.

- "**سلامٌ عَلَى من إتّبع الهدى** " جاءت هذه الجملة مركّبة من:

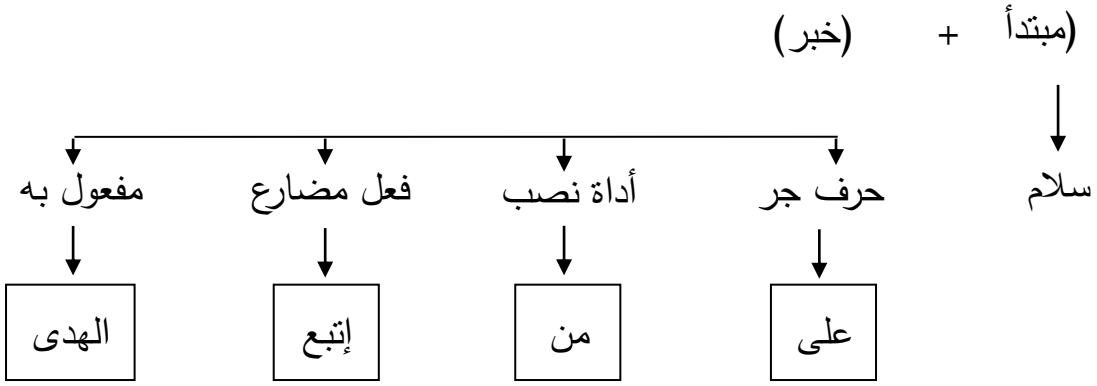

ومدلول هذا الكلام هو وصف المبتدأ بالخبر، منظورا إليه في زمن معيّن، وهو اختصاص على فئة معينة (من اتبعت طريق النّبي صلّى الله عليه وسلّم) وفي هذه الجملة أُسقِطَت الجملة النّحوية بصيغة جمالية نلتمس فيها نوعا من الهدوء، والثّبات في الرّبط بين أجزاء الجملة، وقابليها من الجمل الأخرى.

- "**وإنّي أدعُوكَ بدعاية الإسلام** "[1] بنيت هذه الجملة من:

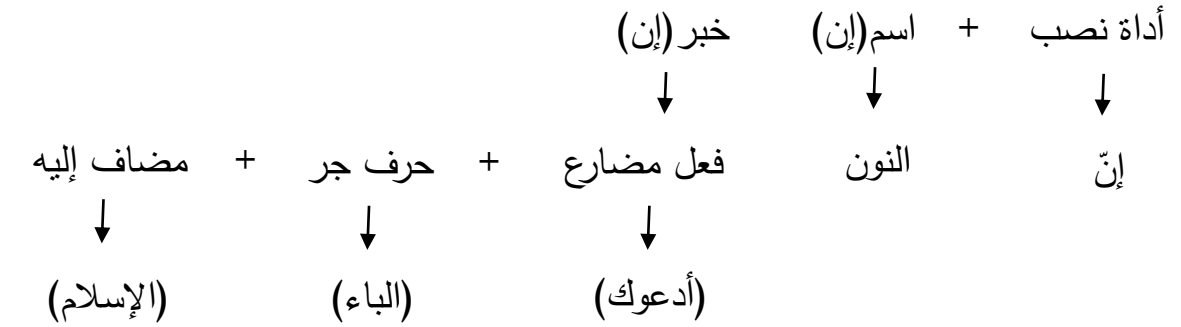

[1] أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب: ص 38.

نلاحظ في هذه الجملة أنّ التّركيب البنائي تصدّرتهُ أداة ناسخة، يليها اسمها ثم خبرها الذِّي جاء شبه جملة دالّة على الطّلب، والجملة الإسمية تفيد نسبة الخبر وإتباعه إلى المبتدأ حين دخلت الأداة إنَّ لتفيد الإلزام والوجوب المقيّدة بالزمن المضارع.

- **"فإنّما عَلَيْكَ إثمُ الأريسيّين"**[1]

حرف رابط بجواب + أداة نصب + خبر مقدم + مبتدأ مؤخر

↓ ↓ ↓ ↓

الفاء إنّ عليك إثم الإرسيتين

وجاء هذا السِّياق متوازنا منتظما من حيث التّرتيب المعنوي والذِّكري الذِّي حقّقه حرف الفاء في الجملة يبرز، جليّا عملية التّقابل الإيجابي في مجموع الجمل الموظّفة في الرّسالة.

- "**يأهل الكتاب**" جاء هذا البناء في الجملة من حيث:

حرف النداء ← المنادى ← مضاف إليه

↓ ↓ ↓

يا أهل الكتاب

وتوحي دلالة هذا السِّياق من خلال التّركيب على ثبوت الأمر وتأكيده.

- " **ألّا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئاً، ولا يتّخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله** "

لقد كان القصر المبني على النّفي والاستئناف عاملا مناسبا لتحقيق الانسجام والمناسبة بين الجمل الآتية:

[1] المصدر السابق، ص.38.

ألّا نعبد إلا الله← لا نشرك به شيئاً← لا يتّخذ بعضنا بعضًا أربابًا

والجمل الثلاث تحمل في طيّاتها معنى الإستمرارية والديمومة في الفعل نعبد ونشرك ويتّخذ وأيضا أفادت التغيير والتجديد والملاحظ في هذه الرّسالة أن النّبي صلّى الله عليه وسلّم وظّف الجمل الإسمية بنسبة تقارب 64.28 %، وهذا ما يدلّ على طغيان الجمل الإسمية من مجموع الجمل الموظّفة في الرّسالة، لأنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم، في مقام إبلاغ وتقرير خبر أثبته بالدّرجة الأولى هذه النّوعية من الجمل.

1-الجملة الفعلية:

يعرِّف النحويين الجملة الفعلية " بأنّها موضوعة لإفادة الحدوث في زمن معين، فإذا قلت: عاد الغريب إلى وطنه " أو " يعُودُ الغريب إلى وطنه "أو " سيعود الغريب إلى وطنه "لم يستفد السامع من الجملة إلاّ حدوث عودة الغريب في الأزمنة: الماضي والحاضر والمستقبل "[1]

وهي موضوعة لإفادة التّجدد والحدوث في زمن معيّن مع الاختصارنحو:

أشْرَقت الشمس وقد ولَّى الظَّلاَمُ هاربًا

فلا يستفاد من ذلك إلاّ ثبوت الإشراق للشّمس "[2]

وقد حقّقت هذه الأخيرة أغراضا جمالية في رسالة النّبي صلّى الله عليه وسلّم، نلمسها في قوله:" **أسلِمْ،تسْلِمْ، أسْلِمْ يُؤْتك الله أجْرك مرتين**"[3]

---

[1]عبد العزيز عتيق: علم المعاني في البلاغة العربية، دار النهضة العربية، د ط، د ت، بيروت لبنان، ص.49

[2]أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ص.51

[3]أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب، ص38.

وقد بنيت هذه الجملة على صيغة التّرتيب للفعل أسْلِمْ على النحو التّالي:

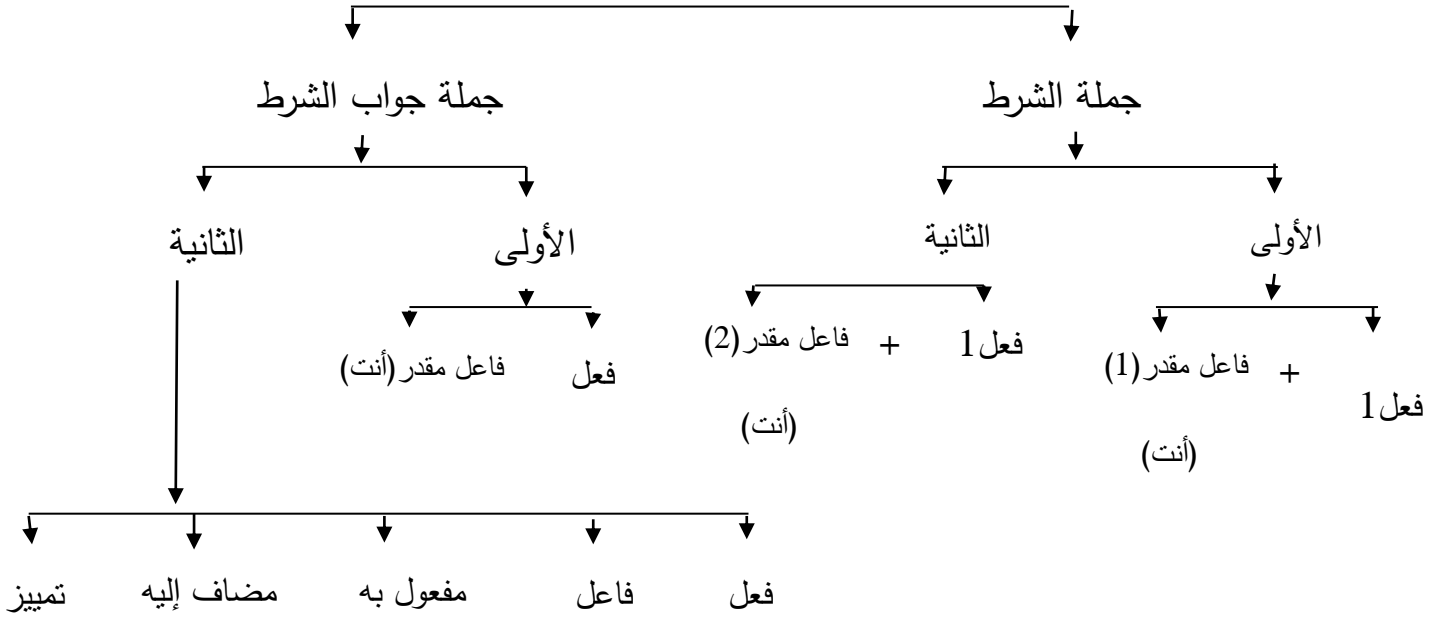

لم يظهر الفاعل في التّركيب الأوّل ليدلّ عليه الفعل أسْلِمْ فالسِّياق يحدِّد نفسه، كما أنّ التعبير بصيغة الأمر هن أقوى الأساليب، أي إخضع لأمر الإسلام وأدْخُل في الدِّين، وقد دلّ على ذلك ضمير المتكلم " أنت" الذّي يرجع على أهل اليهود والنّصارى ومن تبعَهُم ولقد كان الخطاب إلى هرقل قيصر الرّوم وأُريد به بالدرجة الأولى أتباعُهُ لأنّهم همُ المعنيون للدّخول في الإسلام وذلك لأنّهم الأسرع إنقيادًا وطاعةً.

" **تعالوا إلى كلمة سواء بيننَا وبينكم**"[1] جاء تركيبها كالآتي:

[1] المصدر السابق: ص38.

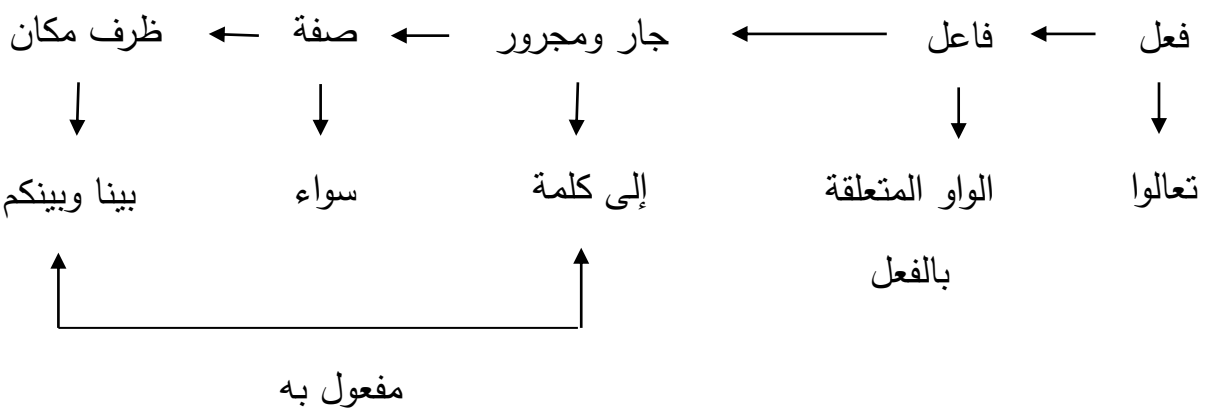

فالفعل تعالوا في هذه الجملة يحيل إلى دعوة الله عز وجل الكفّار إلى الإسلام من باب الوجوب والإلزام، ودلالته في هذا التّركيب يفيد التّغيير والاستمرار، فزمن التّركيب هو المضارع الذّي يوحي بالتبديل وخلاف الفعل من الشّرك إلى التّوحيد.

- " **فإن تولوّا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون**"[1] جاء التركيب الإسنادي لهذه الجملة كما يلي:

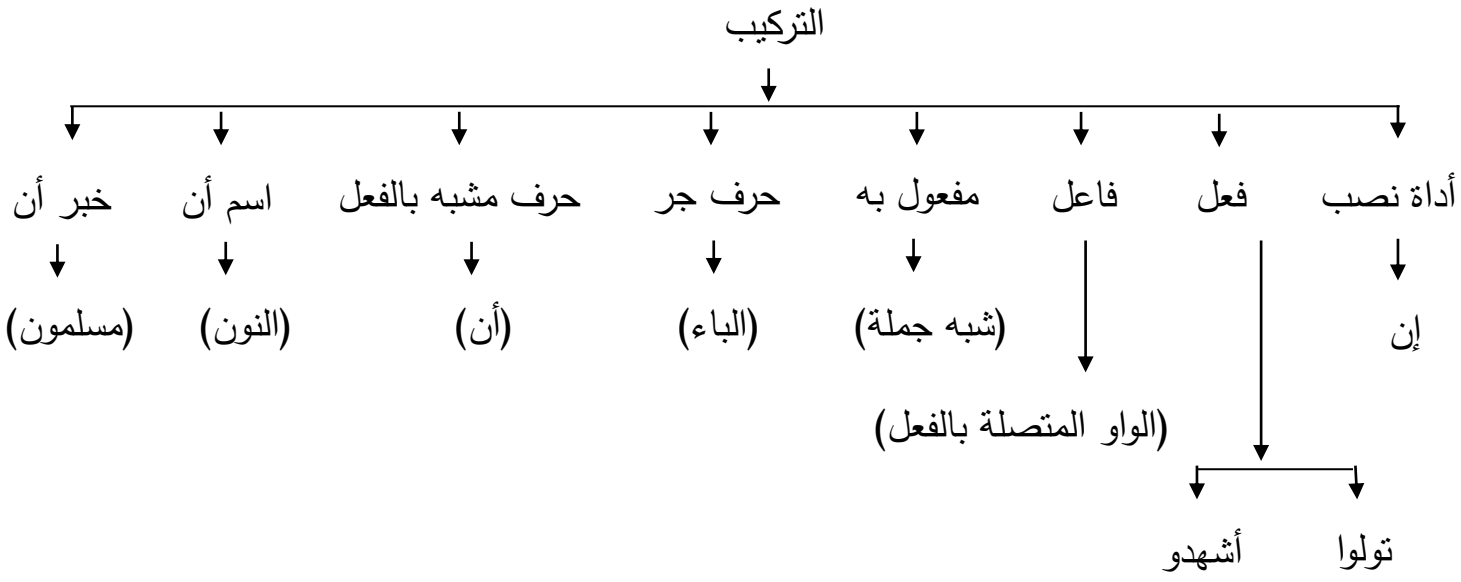

[1] المصدر السابق: ص39.

ومما نلاحظه في هذه الجملة أنّها قيّدت بحرف الجر والفعل الناسخ، وحرف الجر إنّ، ودلالتها تكمن بإفادة المخاطب بالحكم والجزاء وهو الغرض الذّي أدّته الجملة.

وما تجدر الإشارة إليه أنّ الجمل الفعلية في الرّسالة قد وظِّفت بنسبة 35.71% وهي نسبة ضئيلة بالنِّسبة إلى توظيف الجمل الإسمية، ودلالة هذا الاستعمال هو تسريع الحدث وإثبات الحكم في الرِّسالة كما ساهمت الجملة الفعلية التِّي تضمّنت عمليّات إسنادية عديدة في مستوى سياق بناءها النّحوي الإفادة في عملية الإخبار، حيث وظِّفت في الرِّسالة 4 مرات وجاءت موزّعة على الأنماط التِّي أسرنا إليها سابقا.

وممّا نستنتجه من هذه التّراكيب أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم، نوع كلامه في هذه الرِّسالة بين الجمل الإسمية والفعلية، وقد جاءت هذه الرِّسالة قصيرة تعتمد بألفاظ قليلة مشحونة بمعاني كثيرة تحمل معنا ساميا بأقل ما يمكن من التّراكيب وقد انطلق صلّى الله عليه وسلّم في تعبيره من القرءان الكريم، وصاغ من أسلوبه، الأسلوب السّهل الممتنع بعبارات واضحة دقيقة هدفها إيصال الأمر بالإسلام وذلك بتكثيف المعنى في كلمات قليلة موحية تؤدي دورها في ترتيب منتظم منطقي، هدفه الإقناع بالدّرجة الأولى.

وهو ما عبّر عنه مصطفى صادق الرّافعي في كتابه إعجاز القرءان والبلاغة النبوية حين قال: " قد قلنا في بيان أسلوب كلامه صلّى الله عليه وسلّم، أنّه أسلوب منفرد في هذه اللّغة، قد بان من غيره بأسباب طبيعيّة فيه، وأنّ ما أشبهه من بلاغة النّاس في الكلمات القليلة والجمل

المقتضبة ..."[1] وقوله أيضا "...رأيته في الأوّل مسدِّد اللّفظ، محكم الوضع حول التّركيب، متناسب الأجزاء في تأليف الكلمات: فخم الجملة واضح الصِّلة بين اللّفظ ومعناه واللّفظ وضريبه في التّأليف والنّسق ...."[2]

فكانت بذلك الجملة الإسمية والفعلية من أبرز السِّمات الأسلوبية في البنية البلاغية، الموظّفة في الرِّسالة النّبوية وقد أحدثت غرضا واضحا في الصّلة بين اللّفظ ومعناه وبين السِّياق والتّركيب

ثانيا: التركيب الإنشائي في الرّسالة:

إذا كان الإنشاء قسيم الخبر، وكان الخبر هو ما يحتمل الصدق والكذب. فإنّ الإنشاء إذا هو الكلام الذِّي لا يحتمل الصِّدق والكذب بذاته، وذلك لأنّه ليس لمدلول لفظه قبل النّطق به وجود خارجي يطابقه أو لا يطابقه "، وبذلك يكون الإنشاء مرتبط بالمؤثِّرات النّفسية والخوالج العاطفيّة التي يشعر بها الكاتب، والذّي يجد ملاذه في الإنشاء.

ونجده ينقسم إلى قسمين: إنشاء طلبي وإنشاء غير طلبي:

- **فالإنشاء غير الطّلبي:** مالا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطّلب كصيغ المدح والذّم، والعقود، والقسم، والتّعجب، والرّجاء.

- **الإنشاء الطلبي:** وهو الذِّي يستدعي مطلوبا غير حاصل في اعتقاد المتكلّم وقت الطلب، ويكون بخمسة أشياء، الأمر والنّهي، والاستفهام، والتّمني، والنداء.[3]

---

[1] مصطفى صادق الرّافعي: إعجاز القرءان والبلاغة النبوية: ص324.

[2] المصدر السابق: ص.325

[3] أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ص54، 55.

والذّي يهتم البليغ في البحث عنه هو القسم الثّاني، لأنّ فيه من المزايا واللطائف ما ليس في القسم الأوّل[1]. حيث كان هذا الأسلوب من أهمّ الأساليب النّي وظّفها النّبي صلّى الله عليه وسلّم حيث تعدّدت الأساليب الإنشائية في الرّسالة بين الأمر والنّهي والنّداء.

1-**الأمر**: فأمّا الأمر فهو" لغة معروف نقيض النّهي أمره به، وأمره إيّاه لقوله **عزّ وجلّ** "**وأمرنا لنسلم بربِّ العالمين** "**[الأنعام:71]** والعرب تقول أمرتك أن تفعل ولتفعل و[أن تفعل والمعنى أمرنا للإسلام[2]، أمّا اصطلاحا:" فهو طلب حصول الفعل على وجه الاستعلاء[3]"

" ومعنى الاستعلاء: عدّ الآمر نفسه عاليا سواء كان عاليا في نفسه أم لا وقد اختلف العلماء في الاستعلاء، فمنهم من يشترط الاستعلاء ومنهم لا يشترطه، حيث يرى فخر الدِّين الرّازي (ت606م) عدم التقيّد بالاستعلاء والعلو، ونرى الدسوقي لا يشترط للاستعلاء في الأمر حيث يقول: " والصّحيح أنّ الاستعلاء ليس بشرط في الأمر"[4] والأمر من أكثر الصّيغ الإنشائية شيوعا في رسالة النّبي صلّى الله عليه وسلّم النّي أرسلها إلى هرقل ملك الرّوم، ونلمس ذلك في قوله " فإنّي أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم أسلم يؤتك الله أجرك مرّتين[5] "ففي هذه الفقرة تجلّى

---

[1]أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة والبيان والمعاني والبديع، دار الأفاق العربية، الطبعة الأولى، 1420هـ-2000م، القاهرة، ص73.

[2]ابن منظور: لسان العرب، ج1 ص 125

[3]أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 55

[4]مريم سعداوي، ريمة حمادي: الأغراض البلاغية لأسلوبي الأمر والنهي، مذكّرة معدّة استكمالا لمتطلّبات نيل شهادة الماستر: تخصّص علوم اللّسان، جامعة منتوري قسنطينة / ماي 2012، ص7-8

[5]أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب، ص38

بوضوح أسلوب الأمر وهو أمر من الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، اليهود والنصارى يخاطبهم فيها ويأمرهم ويدعوهم إلى الإسلام، وهنا ليس المقصود من الأمر فعل الأمر بذاته وإنّما خرجت صيغة الأمر عن معناها الحقيقي، وإنّما أريد بها التّرغيب والتّرهيب ؛التّرغيب بوحدانية الله والدّخول في دينه ونيل الأجر والثّواب، والتّرهيب من غضب الله و سخطه وجاء هذا التّعبير من باب الإلزام والوجوب للامتثال لأمر الإسلام وقوله أيضا فيما جاء في الأية الكريمة :" **يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم...**"[1] يعني تعالوا إليها حتّى لا نقول عزير بن الله ولا المسيح بن الله لأنّ كلّ واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع أخبارنا فيما أحثوا من التّحريم والتّحليل من غير رجوع إلا ما شرع الله.

وورد الأمر أيضا في قوله:"...**فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون**" أي لزمتكم الحجّة فوجب عليكم أن تعترفوا وتسلموا بأنّا مسلمون دونكم[2]، أي مخلصون مقرّون بالتّوحيد وقيل مستسلمون منقادون لما أتى به النّبيّ، والأنبياء وقيل مقيمون علي الإسلام، وهذا تأديب من الله لعبده المؤمن، وتعليم له كيف يفعل عند إعراض المخالف بعد ظهور الحجّة ليعلم المبطل أنّ مخالفته لا يؤثّر في حقه، وليدلّ على أنّ الحقّ يجب إتّباعه من غير اعتبار بالقلّة والكثرة.[3] ففي هذه الآية الكريمة أمر الله

---

[1]الإمام الزمخشري: تفسير الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق: محمد مرسي عامر، دار المصحف، الطبعة الأولى، 1397 هـ 1977م، ج1، ص179

[2]المصدر نفسه: ص179

[3]أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، المجلد الثاني، ص106

سبحانه وتعالى أهل الكتاب بالتّوحيد وعدم الشّرك به كما أنذرهم نبيّنا الكريم في رسالته ليجيبوا الدّعوة ويتبعوه فيما جاء.

2-**النّهي**: وهو طلب الكفّ عن الفعل أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء والإلزام"[1] وهو المنع من الفعل بقول مخصوص مع علوّ الرّتبة لا تفعل ولا يفعل فلان.[2]

والنّهي نوعان نهي بلاغي ونهي حقيقي:

- **النّهي الحقيقي**: هو ما كان من الأعلى إلى الأدنى على سبيل الاستعلاء والإلزام

- **النّهي البلاغي**: وهو تخلف الشرطان السّابقان، وهما الاستعلاء والإلزام كلاهما أو أحدهما.

والنّهي صيغة واحدة هي المضارع المقرون بلا النّاهية مثل: لا تلق التبعية فيما أصابك على غيرك " [3]وكما أشرنا في تعريفنا للنّهي أنّه طلب الكفّ والامتناع وقد ورد أسلوب واحد في رسالة النّبي صلّى الله عليه وسلّم الذّي تخلّلته الآية الكريمة في قوله عزّ وجل " **يا أهل الكتاب، تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، ألّا نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئا، ولا يتّخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله** "[4]

---

[1]عبد العزيز عتيق: علم المعاني، ص83

[2]هبة الله بن علي الحسني العلوي: أمالي ابن شجري، تحقيق ودراسة: محمّد محمود الطناجي، مكتبة الخانجي، الطّبعة الأولى، 1413هـ 1992م القاهرة، ج1، ص 414.

[3]عبده عبد العزيز قلقيلة: دار الفكر العربي، إخراج: حسام حسين أنيس، الطبعة الرابعة، د ت، القاهرة، ص 152 -153.

[4]آل عمران: الأية 64

والنّهي هنا تركيب يفيد عدم الشّرك بالله عزّ وجلّ وإفراد العبادة لله عزّ وجلّ وحده لا شريك له، وقيل ابن جريح " يعني لا يطيع بعضنا بعضا في معصية الله. وقال عكرمة: " أن لا يسجد بعضنا لبعض"[1]ودلالة ذلك هو النّضج والإرشاد بترك الشِّرك والابتعاد عن الوثنية والخرافة وإتّباع الهدى والامتثال للدِّين الحنيف.

3-**النِّداء:** وهو النّوع الأخير من أنواع الإنشاء الطّلبي والنِّداء: "هو إقبال المدعو على الدّاعي لأحد حروف مخصوصة ينوب كل حرف منها مناب الفعل أدعو" وأحرف النِّداء أو أدواته ثمان: الهمزة، و" أي" و"يا" و" أيا " و" هيا" و آ و" آي و "وا" "[2] والمنادى اسم يذكر بعد أداة من أدوات النِّداء، وأصل المنادى اسم منصوب لفعل محذوف تقديره (ادعوا) أو (أنادي) فيكون يا عبد الله أصلها أدعو: عبد الله[3] فأسلوب النِّداء يستلزم وجوب أصلين المنادى وأداة النِّداء.

ونجد أنّ هذه البنية (بنية النّداء) بنية مهيمنة في الحوارات القرآنية فقد جاءت في مائتي وثمانين موضعا حملت أحوال المنادى وانفعالاته المختلفة إلى المنادى مجسمة رغبته للتّواصل مع الآخر استمالة وإقناعا وإثارة اهتمامه لمضمون الرِّسالة التِّي يريد إيصالها وعلى أساس ذلك فقد

---

[1]الحافظ عماد الدين ابن كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرءان الكريم، دار الأندلس، الطبعة الثالثة ،1401هـ 1981م، ج 2، ص 53

[2]عبد العزيز عتيق: علم المعاني، ص 115

[3]إيمان بقاعي: معجم الإعراب، دار المدار الثقافية، الطّبعة الأولى، 1429هـ 2009م، البليدة، ج1، ص105.

جاء النِّداء في الرِّسالة النّبوية المرصّعة بآية من القرآن الكريم[1] في قوله تعالى:"**ويأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم**".[2]

و ورد النِّداء هنا بأداة النِّداء "يا" والمنادى أهل الكتاب نكرة منصوبة وهم المعنيون بالخطاب يعني بذلك جل ثناؤه:" قل" يا محمّد لأهل الكتاب وهم أهل التّوراة والإنجيل فقالوا:

هلمّوا،[3] وقد جاء النِّداء في هذه الصّيغة للفت الانتباه دلالته نقل الخبر وطلب تنفيذ الأمر فالسّياق يفصح عن حرص النّبي صلّى الله عليه وسلّم، على هداية من أظلوا من أهل اليهود ومن تبعهم عن الإقلاع عن الشِّرك وعبادة الله وحده لا شريك له فقد جعل النِّداء أسلوبا صريحا بغية استجابة اليهود لما أمرهم الله به فالدّعوة كانت عامّة وشاملة لاعتناق الإسلام. وأخيرا نجمل خلاصة البنى البلاغية في هذا الجدول كالآتي:

	نوع الجملة	العدد	النّسبة من مجموع الجمل
طلبية	**الأمر**	**4**	**%28.57**
	النّهي	2	%14.28
	النِّداء	1	%7.14

[1]: رزيقة طاوطاو: البنية الحوارية في الخطاب القرآني مقاربة أسلوبية على السّور المكية، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في شعبة الأدب، 1431 هـ 2010م، ص 312

[2]أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب: ص38

[3]أبي جعفر محمّد بن جرير الطّبري: تفسير الطّبري جامع البيان عن تأويل آى القرآن تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى، 1422هـ 2001م، ج 5، ص 473

المجموع	14	%49.99

وما نلاحظه في توظيف الإنشاء الطّلبي في الرّسالة:

1/ أن أسلوب الأمر قد وظّف أربع مرّات أي بنسبة 28.57% من مجموع نسب الجمل الموظّفة وهذا ما يجعله سمة أسلوبية بارزة في الرّسالة بينما جاء أسلوب النّهي مرّتين بنسبة 14.28% وأسلوب النّداء مرّة واحدة بنسبة 7.14% وغرضها البلاغي تأكيد الكلام و إبلاغه وقد جاءت هذه الصّيغ متقاربة من حيث التّوظيف والاستعمال في الرّسالة.

ثالثا –التّقديم والتّأخير:

لقد حضيت قضية التّقديم والتأخير اهتمام الكثير من علماء اللّغة والبلاغة وذلك لما تركته من وقع جمالي وأثر موسيقي في بناء النّص" لأنّ الكلام يتألف من كلمات أو أجزاء وليس من الممكن النطق بأجزاء أي كلام دفعة واحدة، من أجل ذلك كان لا بدّ عند النّطق بالكلام من تقديم بعضه وتأخير بعضه الآخر، وليس شيء من أجزاء الكلام في حد ذاته أولى بالتقديم من الآخر لأنّ جميع الألفاظ من حيث هي ألفاظ تشترك في درجة الاعتبار هذا ما تجب له الصدارة كألفاظ الشّرط والاستفهام ".[1]

1–تأخير المسند إليه:

يشير الدّكتور أحمد مصطفى المراغي إلى أنّ أسباب تأخير المسند إليه على المسند لإغراض منها: "أن التّخصيص من الأسباب الموجبة لتقدّم المسند[2]" ومن صور التّقديم والتّأخير

[1] عبد العزيز عتيق: علم المعاني في البلاغة العربية، ص136

[2] أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة والبيان والمعاني والبديع، ص126

في عناصر الجملة قوله صلّى الله عليه وسلّم:" بسم الله الرّحمان الرّحيم "[1]واسم الله عزّ وجلّ قدّم على الرّحمان الرّحيم لأنّه اسم لا ينبغي إلاّ لله، وقيل هو اسمه الأعظم " يا ذا الجلال والإكرام"

-"**بسم الله الرحمان الرحيم**" جاء هذا التّركيب من الجملة: جار ومجرور (بسم) متعلقان بمحذوف، والباء هنا للاستعانة أو للإلصاق، وتقدير المحذوف أبتدئ فالجار والمجرور في محل نصب مفعول به مقدم أو ابتدائي، فالجار والمجرور متعلّقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف و" الله" مضاف إليه والرّحمان الرّحيم صفتان لله تعالى والبسملة ابتدائية[2]

"**... من محمّد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الرّوم، سلام على من اتبع الهدى...**" فقد تقدّم المسند من شبه الجملة جار ومجرور " من محمّد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الرّوم" على المسند إليه المبتدأ سلام على من اتبعالهدى: "من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم"، وذلك حرصا منه على مراعاة نظام الكلام "،[3]وترتيبه وذلك لحسن السماع والإقناع .

-"**... فإن تولّيت فإنّما عليك إثم الأريسيِّين...**"[4] فقد أخِّر المبتدأ في الجملة(إثم) وقدِّم الخبر وذلك لدخول "ها" الكافة المكفوفة التِّي أبطلت عمل إن وتقدير الكلام: إنّ إثم الأريسيِّين عليك، وفي الكلام حذف دلّ على المعنى أي: فإنّ عليك مع إثمك إثم الأريسيّين، ودلّ هذا التّقديم

[1]أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب: ص38

[2]محي الدِّين الدّرويش: إعراب القرءان الكريم وبيانه، اليمامة للنشر والتوزيع، الطبعة السابعة ،1420هـ - 1999م، دمشق، المجلّد الأوّل، ص 24

[3]عبد العزيز عتيق: علم المعاني في البلاغة العربية، ص132

[4]أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب، ص 38

على غرض بلاغي هو التّخصيص لأنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم، إنّما خصّ هؤلاء، لأنّهم أغلب رعاياه وأسرعهم انقيادا،وذلك لجهلهم وسذاجتهم"[1]

-"...**ولا نشرك به شيئا ولا يتّخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ...**"

وقد تأخر المسند إليه على المسند في هذا التركيب، فقد تقدم الجار والمجرور (به) على المفعول به (شيئا)، " فالواو عاطفة ولا : نافية ، ونشرك عطف على نعبد، وبه جار ومجرور متعلّقان بشرك، وشيئا مفعول به أو مفعول مطلق وقد تقدّم الكلام على هذا الإعراب "ولا يتّخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ..."فكانت الواو : عاطفة ، ولا : نافية، و يتّخذ : فعل مضارع معطوف على نعبد ولا نشرك، وبعضنا فاعل، بعضا مفعوله الأول، وأربابا : مفعوله الثاني ومن دون الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لـ أربابا "،[2] وتقدير الكلام "" ولا يتّخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ولا نشرك به شيئا..." ونلاحظ أن التّقديم والتّأخير عند النّبي صلّى الله عليه وسلّم بنِي لغرض التّوازن الإيقاعي بين الجمل، وأيضا قصد ترتيب الكلام لما يخدم الجانب الإقناعي في الرّسالة وإكسابه الصّفة الجماليّة "فتقديم جزء من الكلام أو تأخيره لا يرد اعتباطا في نظم الكلام وتأليفه، وإنما يكون عملا مقصودا يقتضيه غرض بلاغي."[3]

---

[1] المصدرالسابق: ص 38

[2] المصدر نفسه: ص 39

[3] محي الدّين الدّرويش: إعراب القرآن الكريم وبيانه: ص454.

البنية الإيقاعية

دراسة البنية الإيقاعية لنص أدبي ما، تعني دراسة موسيقاه بنوعيها: الخارجية والدّاخلية وكلّ ما من شأنه أن يحدث نغما في الأذن وأثرا في النّفس أو يلفت إليه إنتباه الفكر.

"فكلمة إيقاع ترتبط بالفنون الموسيقيّة والغنائية، وحين يسعى الباحث للوقوف على معاني هذه الكلمة وإيحاءاتها فسيجد أنّها تتردّد أكثر ما تتردّد في الكتب التّي تبحث في الموسيقى وقضاياها لذلك فإنّ المعاجم اللّغوية تضع الكلمة في هذا الإطار حيث نجد أنّ الإيقاع هو توافق الأصوات وتوقيعها "،[1]والموسيقى بدورها تقوم على تقسيم الجمل إلى مقاطع صوتية تختلف طولا وقصرا، أو إلى وحدات صوتية معيّنة على نسق معين، بغض النّظر عن بداية الكلمات ونهايتها"[2] فانطلاقا من كون الإيقاع وسيلة فاعلة تسهم في إنتاج الدّلالة وجلاء الرّؤيا سنحاول في هذا المبحث توضيح بعض الظواهر الإيقاعية البارزة التّي تطالعنا في الرّسالة والتّي كان لها أثر كبير في تحقيق غاية النّبي صلّى الله عليه وسلّم، وتعميق مفهومه للإسلام ومن ثمّ انعكاسه على المستوى الفكري والسّلوكي .وإذا كانت الموسيقى الخارجية هي الوزن والقافية فالموسيقى الدّاخلية هي كلّ ما من شأنه أن يحدث جرسا قويّا ونغما مؤثّرا في داخل الرّسالة سواء أكان مصدره صوتا أو كلمة أم

[1]أحمد محمد النّعيمي: إيقاع الزّمن في الرّاوية العربية المعاصرة، دار فارس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2004، الأردن، ص13.

[2]عبد العزيز عتيق:" علم العروض والقافية، دار الأفاق العربية، الطبعة الأولى، 1424هـ-2004م، القاهرة، ص11.

عبارة والتّوافق بين وحدات النّص من ألفاظ ومعاني وصور هو الذّي يمنع ذلك الجرس الصوتي العذب.

وسنعرّج بالدّرس والتّحليل إلى تلك السِّمات والعناصر الإيقاعية في الرِّسالة النّبوية محاولين كشف دلالاتها وإيحاءاتها وأهميّتها في تشكيل النّص القرشي.

أوّلا:الجناس

لقد وضع النّقاد والبلاغيون الجناس ضمن باب البديع، فقد جعله الباقلاّني بابا من أبوابه:". وباب آخر وهو التجنيس ومعنى ذلك أن تأتي بكلمتين متجانستين: فمنه ما تكون الكلمة تجانس الأخرى في تأليف حروفها ،"ويعرّفه عبد القاهر الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة"[1] بقوله :"أمّا التّجنيس فإنّك لا تستحسن تجانس اللّفظتين إلاّ إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعا حميدا، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا ،" [2]وذكره أحمد الهاشمي في كتابه جواهر البلاغة بأنّه: " التّجنيس والتّجانس والمجانسة ، ولا يستحسن إلاّ إذا ساعد اللّفظ المعنى ووازى مصنوعه مطبوعة مع مراعاة النّظير وتمكّن القرائن فينبغي أن ترسل المعاني على سجيّتها لتكتسي من الألفاظ ما يزيّنها حتّى لا يكون التّكلف في الجناس مع مراعاة الالتئام "موقّعا صاحبه في قول من قال: [من الكامل]

طبع المجنّس فيه نوع قيادة أو ما ترى تأليفه لأحرف

[1]أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاّني: إعجاز القرآن: تحقيق السيّد: أحمد صفر، دار المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، د ت، مصر، ص83

[2]عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة: ص11

فالجناس أن يتّفق اللّفظان في النّطق ويختلفا في المعنى[1] ومن هنا فقد فرّق علماء البلاغة بين الجناس الحسن الذّي يزيد في اللّفظ بهاء ورونقا وبين الجناس المعقّد الذّي يؤدّي إلى عدم التّوافق والالتئام

ومن صور الجناس في رسالة النّبي صلّى الله عليه وسلّم، إلى هرقل عظيم الرّوم: قوله صلّى الله عليه وسلّم:" **بسم الله الرّحمان الرّحيم، سلام على من اتبع الهدى: أمّا بعد: إنّي أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يؤتك أجرك مرتين**"[2] ففي هذه الفقرة يلعب الجناس دورا هاما في تناغم الفواصل، وبتناغم الكلمات أيضا:

سلام = إسلام/ أسلم = تسلم= أسلم / التّي تبدأ كلّها بحرف السّين الذّي حدث بالكلمة الدّاعية للإسلام ولذلك اختار النّبي عليه صلوات الله، الكلمات المتجانسة للفظة الإسلام، ومن هذا الاختيار الدّقيق حسن موقع السجع في الآذان وأدّى دوره في المعاني وفي السّياق لمقتضى الحال وهذه الكلمات قد تجانست من الناحية الصّوتية والمقطعية التّالية: (سلام، سلام، سلم سلم، سلم) وهو من الجناس الناقص في الكلمتين إسلام = سلام

و الجناس التّام في الكلمات أسلم = أسلم / أسلم = تسلم

وقد أحدث هذا الجناس توازنا في الإيقاع والصورة الخارجية للكلمات، وذلك من خلال التّكرار وأيضا ورد الجناس في قوله:"... **تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به**

[1] أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ص 143

[2] أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب: ص 38

شيئا، ولا يتّخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ".[1]وذلك في تجانس الكلمات بيننا = بينكم وبعضنا = بعضا، ونوعه ناقص دلالته تكمن في تأكيد المعنى باللّفظ وقد اعتمد النّبي صلّى الله عليه وسلّم، على شيوع حرف السِّين بموقعه القوي الرنّان لأنه من الأصوات الصّفيرية وقد وظفّه نبيّنا الكريم ليدعِّم الأداء اللّفظي والخطابي.

وقد ورد أيضا في هذه الرِّسالة جناس الاشتقاق وهو نوع من الجناس الذِّي يكون بين لفظتين، يقول الباقلاّني:" ومنهم من زعم أن المجانسة أن تشترك اللّفظتان على جهة الاشتقاق[2] " وتجلى ذلك في قوله" إنّي أدعوك بدعاية الإسلام"[3] ونلتمسه في الكلمتين أدعوك ودعاية فهناك مجانسة من حيث الشّكل والصّوت بين الفعل(أدعوك) والمصدر (دعاية) فالاثنان ينتميان إلى أصل لغوي واحد ودلالة واحدة فهو يهدف إلى التّرغيب بالدّرجة الأولى إلى الدِّين الحنيف " فالجناس مهارة فنِّية ، وقدرة على تطويع الوحدات اللّغوية، وليس تداعيا شكليا، أو عبثا صياغيا إذا أحسن المنشئ توجيهه لخدمة النّص الجمالي إقناعا و تنغيما، وهذا قول الإمام علي: "كل شيء يهز حين يندر، والعلم يعزّ حين يندر"[4]ومن هنا يكون الجناس أحد الرّكائز الأساسية التّي يقوم عليها الإيقاع حيث أنّه يؤدِّي إلى نشوء الموسيقى بشكل متسارع ومنتظم في اللّفظ والمعنى.

---

[1]المصدر السابق: ص 38 –39.

[2]الباقلاني: إعجاز القرآن: ص83

[3]أحمد زكي صفوت: جهرة رسائل العرب: ص38.

[4]عبد القادر عبد الجليل: الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص 578.

ثانيا –الجهر والهمس:

يرتكز الإيقاع في اللّغة العربية على الموسيقى الدّاخلية والخارجية للنّص الأدبي ، وقد عني الكثير من الباحثين بالموسيقى الدّاخلية ودورها الوظائفي المميّز حيث دعوا إلى دراسة الأصوات وتأثيرها على بنية النّص لأن الصّوت يشبه العنصر الحي في الخليّة فهو لا يكتسب نشاطه وحيويته إلاّ ضمن النّسيج الكلّي "[1]والصّوت هو آلة اللّفظ والجوهر الذّي يقوم به التّقطيع وبه يوجد التّأليف ولن تكون حركات اللّسان لفظا، ولا كلاما موزونا، ولا منثورا إلاّ بظهور الصّوت ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتّقطيع "[2] فالحرف كما يقول أرسطو " صوت لا يتجزأ وهو صوت معيّن ومن طبيعته أن يدخل في تركيب صوت معقّد " وهو وحدة الدّراسة اللّسانية الصغرى لأنّه رمز للصّوت وكلّ حرف صوت وليس العكس"[3]وبذلك تنقسم الحروف العربية إلى حروف مهموسة وأخرى مهجورة، والمجهور معناه : أنّ حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع أن يجري معه النّفس حتّى ينقضي لاعتماد ويجري الصّوت ، أمّا المهموس كل حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتّى جرى معه النّفس"[4] ونجد أنّ الأصوات المهجورة عددها خمسة وهي:

ع/ ظ/ م/ و/ ز/ ن/ ر/ ج/ ل/ ب/ غ/ ي/ ض/ ذ/ ر.

---

[1]رابح بوحوش: اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، دار العلوم للنشر والتوزيع، د ط ،2006، عنابة – الجزائر، ص 44

[2]الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص79

[3]أنظر: آمنة بن مالك: الحروف العربية دراسة لغوية صوتية: بحث مقدم لنيل شهادة الماستر في فقه اللغة، معهد الآداب واللغة العربية، جامعة قسنطينة، 1402هـ –1982م، ص 54

[4]أبي بكر محمد بن الطيّب الباقلاّني: إعجاز القرآن، ص 44

والأصوات المهموسة عددها اثنا عشر صوتا وهي:

س/ ك/ ت/ ش/ خ/ ص/ ف/ ح/ ث/ ه/ ق/ ط.

والصّوت اللاّمجهور واللاّمهموس هو الهمزة"[1]

تكوّنت رسالة النّبي صلّى الله عليه وسلّم، من 275صوتا جاءت مرتّبة حسب الجدول الأتي:

أوّلا –الأصوات المجهورة

الجدول الأوّل:

الأصوات المجهورة

التّرتيب	الصّوت	التّكرار	النّسبة	مخرج الصّوت
1	ل	52	٪18.90	لثوية
2	م	23	٪8.36	شفوية
3	ن	20	٪7.27	لثوية
4	و	15	٪5.45	صوت طبقي
5	ر	14	٪5.09	لثوية
6	ب	12	٪4.36	شفوية
7	ع	12	٪4.36	حلقة
8	ي	12	٪4.36	غارية (وسط اللسان)

[1]عبد القادر عبد الجليل: الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص:46

9	د	07	٪2.54	لثوية
10	ض	02	٪0.72	لثوية
11	ج	01	٪0.36	غارّية
12	ظ	01	٪0.36	أسنانية
13	ذ	01	٪0.36	أسنانية
المجموع الكليّ	275			
النّسبة	٪62.49			

الجدول الثّاني:

الأصوات المهموسة:

التّرتيب	الصّوت	التّكرار	النّسبة	مخرج الصّوت
1	هـ	11	٪4	حنجريّة
2	ت	10	٪3.63	لثوية
3	س	10	٪3.63	لثوية
4	ك	07	٪2.54	طبقية (أقصى حنكية)
5	ف	04	٪1.5	شفوية
6	ش	03	٪1.09	غارّية (أدني حنكية)

7	ح	03	٪1.09	حلقية
8	ق	01	٪0.36	طبقية(أقصى حنكية)
9	ث	01	٪0.36	أسنانية
الجموع الكلي	275			
النسبة	٪18.2			

وبعد استقرائنا للجدولين السابقين يتّضح لنا أن النّبي صلّى الله عليه وسلّم، وظّف الأصوات المهجورة بنسبة 62.49٪ حيث طغى حرف اللاّم بتكراره 52 مرة أي بنسبة 18.9٪ وهذه النّسبة تفوق نسبة استعمال الحروف الأخرى، ويتّصف هذا الحرف بالصّفة الجانبية laterale"[1]" وسميت صوتا جانبيا، لأن الهواء يتسرّب من أحد جانبي الفم عند نطقها"[2]، فهو حرف سهل خفيف على اللّسان إخراجه؛ وتعتبر اللاّم من الحروف المجهورة، وهي أيضا من حروف الذّلق (اللام والنّون والرّاء)[3]، كما تعدّدت أيضا الحروف الأنفية: الميم والنون، وقد جاء استعمال هذه الحروف بنسبة عالية بعد حرف اللاّم "ونجد أنّ حرف الميم من الأصوات المهجورة المتوسّطة في الشدّة والرّخاوة حيث يحصل صوت هذا الحرف بانطباق الشّفتين على بعضهما البعض في ضمّة متأنية وانفتاحها عند خروج النّفس ولذلك فإن صوته يوحي بذات الأحاسيس اللمسية التّي تعانيها الشّفتان لدى

[1] عبد القادر عبد الجليل: الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية: ص46

[2] داود عبده: دراسات في علم الأصوات العربية: دار جرير للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ،1431هـ-2010 م، عمان الأردن، ص 43

[3] ابن منظور: لسان العرب، ج5، ص 3972

انطباقهما مع بعضهما البعض من اللّيونة والمرونة والتّماسك مع شيء من الحرارة وهكذا صنِّفت الميم في زمرة الحروف الإيحائية "[1]، وهي من الحروف اللمسية التي تعتبر أبسط الحروف العربية وأقلّها تعقيدا إضافة إلى الذال والدّال، هذا الأخير الذِّي وصلت نسبة تكراره إلى 2.45٪ وهو من الأصوات غير المستمرّة، "فعند النطق به يمنع الحاجز مقام تسرّب الهواء ثم يزال الحاجز فيندفع الهواء إلى الخارج "[2]، "فالأصوات المجهورة تتطلّب كميّة أقل من الهواء المندفع من الرِّئتين ومعها يهتزّ الوتران الصوتيان ويسمع لهما رنين"[3]، وإنّما دلّ هذا التّنوع في الأصوات على شيء، إنّما دلّ على طغيان الأصوات المجهورة في الرِّسالة، كان برغبته صلّى اللّه عليه وسلّم، بالجهر بالدّعوة الإسلاميّة، و تمّ ذلك بذكر جميع حروف الجهر ماعدا حرفي الزّاي والغين، الذّي غاب وجودهما . وهو ما خلق نوعا من الانسجام والاتساق بين مفردات النّص.

بينما نجد توظيف الأصوات المهموسة بنسبة أقل بكثير من الأصوات المجهورة، وهو ما أكّده الجدول الثاني حيث بلغت نسبة توظيفها ما يقارب 18٪ من مجموع نسبة الأصوات الأخرى وهذه الأخيرة " تتطلب كمّية أكبر من الهواء المندفع من الرِّئتين".[4]حيث تكرّرت الهاء 11 مرّة

---

[1]حسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها: دراسة – منشورات اتحاد الكتاب العرب 1998: ص14

[2]داود عبده: دراسات في علم الأصوات العربية: ص43

[3]محمد بن يحي: السمات الأسلوبية في الخطاب الشعري عالم الكتب الحديث للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1432هـ-2011م، عمان، الأردن: ص109

[4]المرجع السابق ص 109

والتّاء 10مرّات والكاف07 مرّات والقاف مرّة واحدة مشكِّلة نسبة 10.17٪ من مجموع الأصوات المهموسة، وهي حروف انفجارية شديدة تنتمي إلى الحروف اللّمسية حيث يقول ابن سينا حرف التاء:" إنّ صوته يسمع عن قرع الكفِّ بالأصبع قرعا بقوّة"، فإنّ صوته المتماسك المرن يوحي بملمس بين الطراوة واللّيونة.[1]

وقد تكرّر حرف الشِّين أيضا ثلاث مرّات، والثّاء مرّة واحدة، والسِّين 10 مرّات، والحاء 3 مرّات حيث تكرّرت نسبة تكرارها مجتمعة 6.17٪ وهي حروف احتكاكية رخوة".[2]

ومما يتّضح لنا أنّ شيوع الحروف المهموسة في الرِّسالة تنوّعت بين الحروف الانفجارية الشّديدة والاحتكاكية الرّخوة وهو ما دلّ على استعمال الألفاظ والعبارات السّهلة البعيدة عن التّعقيد، السلسلة تجري مجرى اللِّسان وقد تركت جرسا موسيقيا ملفتا، يحمل من القوّة والشدّة ما زاد المعنى تأكيدا وتثبيتا.

وقد ذكر تمّام حسّان في كتابه" اللّغة العربية معناها ومبناها" أنّ الحروف الصّحيحة إذا طالت كمِّيتها (أي شدِّدت) دلّت إمّا على تعدّد المقاطع أو على الوقف "[3]، وما تجدر الإشارة إليه أيضا هو تكرار صوت الألف بتكرار بلغ 53 مرّة، وهو ما يمثِّل نسبة 19.27٪ وقد أخذت بذلك مساحة الشّيوع الأكثر توظيفا في الرِّسالة " وقد سمِّيت الألف ألفا لأنّها تألف الحروف كلّها وهي

[1] حسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها: ص1.

[2] عبد القادر عبد الجليل: الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية ص46.

[3] تمّام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الطبعة الأولى 1994م، الدار البيضاء المغرب، ص71.

أكثر الحروف دخولا في المنطق"،[1]وهي من حروف العلة تؤدي مهمة جليلة في اللّغة العربية حيث تعتبر أساسا لقوّة الاستماع[2] " ويمكننا اعتبار توظيف صوت العلّة الألف بنسبة كبيرة فاقت جميع النِّسب لتعويض النّقص من أصوات الهمس وكانت دلالته واضحة حيث ألبس الإيقاع بتكراره لحنا زاد من تأكيد المعنى واللفظ معا.

ثالثا: التّكرار

جاء في لسان العرب التّكرار بفتح التاء التِّداد والترجيع من كرّ يكرّ كرّا وتكرارا، والكرّ الرّجوع على الشّيء ومنه التّكرار وكرّر الشّيء وكركره: أعاده مرّة بعد أخرى ويقال كرّرت عليه الحديث إذا ردّدته عليه ".[3]

ويعتبر الصّوت اللّغوي أحد أهم الدّعائم في تأدية المعاني إذ لاحظ اللّغويون القدامى تلك العلاقة الوطيدة بين صوت الحرف وبين ما يدلّ عليه"[4] فباب مقابلة الألفاظ لما يشاكل أصواتها من الأحداث باب واسع، ونهج ملتئب عند عارفيه، مأموم وذلك أنّهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبّر عنه فيعدلونه بها ويحتذونه عليها، وذلك أكثر ما نقدّره وإضعاف ما نستشعره"[5]

---

[1]ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص1، باب الهمزة

[2]تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص71.

[3]جمال الدين ابن منظور: لسان العرب، ج1، مادة كرّر.

[4]فضيلة مسعودي: التكرارية اللفظية في القراءات القرءانية قراءة نافع نموذجا، دار الحامد، الطبعة الأولى، 2008م، عمان، ص19.

[5]أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، د ط، د ت، بيروت، ج2، ص157.

وقد يتعدّد استعمال الصّوت الواحد في المواطن المتجاورة أو المتباعدة، فنجد لذلك التعدّد حلاوة في الاستعمال، وجمالا فنّيا راقيا في التّلقي [1]والتّكرارية من ثمّ هي أيضا شرط إمكانية إعادة الإنتاج والتّمثيل والإقتباس، وعليه فإنّ بداية كلّ شيء هي إمكانية إعادة عن إعادة، أو تمثيل (صورة عن أصل هو مسبقا صورة) أو اقتطاف من اقتطاف هذه الإمكانية لابد أن تتّسم بها جوهريا كلّ المفاهيم والقضايا، وحدة كانت أو إشارة أو علاقة"[2]

فأسلوب التّكرار يحتوي على كلّ ما يتضمّنه أيّ أسلوب آخر من إمكانات تعبيرية إنّه في الشّعر مثله في لغة الكلام، يستطيع أن يغني المعنى أو يرفعه إلى مرتبة الأصالة وذلك أن يسيطر عليه سيطرة كاملة.

وهذا يعني أنّ للتّكرار قيمة جمالية في موسيقى النّص القرشي إذا أحسن المرسل استخدامه والتّكرار يقصد به توكيد المعاني وإعطاؤها صفة الحتمية والوجوب وقد يقصد به إلي الاستشارة والحماس في نفوس المتلقّين حتّى يستحوذ على مشاعرهم وهو ما نلمسه في رسالة النّبي صلّى الله عليه وسلّم حيث تنوّع التّكرار واختلف :1_**تكرار الصوت الواحد:**" أو الصّوت المفرد يتمّ فيه تكرار صوت معين من شأنه أن يعطي جرسا صوتيا فريدا إلى جانب الأصوات السابقة أو اللاّحقة المكرّرة للّفظ وقد يتكرّر على مستوى المفردة الواحدة "[3]

---

[1]فضيلة مسعودي: التكرارية الصوتية في القراءات القرآنية قراءة نافع نموذجا، ص 19

[2]ميجان الرّويلي – سعد اليازعي: دليل الناقد الأدبي المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة، 2002م، الدار البيضاء، المغرب، ص122

[3]فضيلة مسعودي: التكرارية الصوتية في القرءات القرآنية قراءة نافع نموذجا، ص21

ونجده في قوله:" سلام على من اتبع الهدى... فإنّي أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم ....إثم الأريسيّين .... سواء بيننا وبينكم .... بأنّا مسلمون".[1]

فحرف السِّين الأسناني اللّثوي أحدث جرسا موسيقيا في فعل الأمر "أسلم" الذِّي تكرّر مرّتين وقد أردف معه في هذا السِّياق المصدر" الإسلام" وقد جرت الرِّسالة كلّها على حرف السِّين ويهدف هذا التِّكرار إلى شدّة إلحاح النّبي صلّى الله عليه وسلّم، ودعاؤه إلى دخول الإسلام وتأكيده على ذلك.

كما تكرّر لفظ الجلالة "الله" أربع مرّات ودلالة ذلك هو تأكيد النّبي صلّى الله عليه وسلّم، على ضرورة الدّخول إلى الإسلام وتوحيد الله وعدم الشرك به والدّخول في الدِّين دون أيِّ اعتراض فهو اسم الخالق الأعظم ذو الجلال والإكرام وتجلّى ذلك في قوله "**بسم الله**" " **أسلم يؤتك الله أجرك مرتين**"، " **ألا نعبد إلا الله**"، " **ولا يتخذ بعضنا بعضا من دون الله** "، وأراد عليه الصّلاة والسّلام من هذا التِّكرار خلق إيقاع منتظم أعطى من القوة ما يحسّ به القارئ عند النّطق، وما يحمله من وظيفة موسيقية وأخرى بلاغية في الوقت نفسه وقد ورد أيضا تكرار ضمير المخاطب أنت وأنتم الغائبين وذلك في قوله " أسلم" " تسلم" أسلم" " يؤتك" " أدعوك" توليت" عليك"، وأيضا في الأية الكريمة " و" **يا أهل الكتاب ...تعالوا...**"[2] فهذا التكرار يؤدي وظيفة نفسية شعورية [3].في هذا

---

[1]أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب: ص37 38

[2]المصدر نفسه: ص 38-39

[3]سعود أحمد يونس الخفاجي: أثر الإيقاع في شعر غربي الحاج، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، المجلد 12، العدد3، 2013 ص158

التعبير إلحاح على المعنى مما أدّى إلى تماسك وانسجام أجزاء الرِّسالة وقد ربط النّبي صلّى الله عليه وسلّم، الإيقاع بقضية الإقناع الذِّي يرتبط بدوره بالدِّين بالدّرجة الأولى والتّرغيب فيه، والتّرهيب من غضب الله عز وجل، عند الإعراض عن الدّخول في الإسلام فالتكرار كظاهرة لغوية قد أعطى تأكيدا وتعزيزا لفكرة النّبي صلّى الله عليه وسلّم، الرّامية إلى حثِّ الإنسان الكافر إلى توحيد الله والتّقرب إليه بالطّاعة والعبادة.

التناص:

لمّا كانت اللّغة تهتم بالمعنى والدّلالة بالدّرجة الأولى في الخطاب الأدبي كان القصد ثابتا واحدا، ومع تطوّر الدِّراسات النّقدية تطوّر الخطاب وتطوّرت مناهج دراسته، فتغيّرت بذلك المصطلحات وتعدّدت، وظهرت مصطلحات جديدة اعتبرها النّقاد المحدثون من مستلزمات الدّرس النّقدي الحديث ومن بين هذه المصطلحات نبرز مصطلح التّناص، الذِّي سلِّط عليه النّقاد الضوء وأعطوه الأولوية في تحليل الخطاب وبذلك فإن مصطلح التّناص في النّقد الحديث يعني تفاعل النّصوص فيما بينها، أو بعبارة أخرى توظيف النّصوص اللاّحقة لبنيات نصوص أصلية سابقة وإنّ أيّ نصّ كيفما كان جنسه يتعلق بغيره من النّصوص بشكل ضمني أو صريح،[1]والتّناص كما حدّدته جوليا كريستيفا "بأنه مهما كانت طبيعة المعنى في نصّ ما ومهما كانت ظروفه كممارسة إشارية فإنه يفترض وجود كتابات أخرى وهذا يعني أنّ كلّ نصٍّ يقع من البداية تحت سلطان كتابات أخرى عليه كونا أو عالما" وينظر جنيت إلى عملية التناص باعتبارها علاقة التّواجد بين نصّين أو مجموعة من النّصوص، ويكون هذا الحضور بين نصّ وآخر إمّا الاستشهاد، أو المعارضة، أوالتّلميح ،أو السّرقة وغيرها ،[2] وما يقوله رولان بارت عن ذلك أنّ كلّ نصٍّ هو تناص وذلك على نحو تتمثّل فيه كلّ النّصوص الأخرى فتعريف بارت لا يختلف عن مضمون مقولة جيرودو "السّرقة الأدبية هي أساس كل الآداب،" في حين عرّف معجم لاروس مفهوم التّناص على

[1]سعيد سلام: التّناص التّرائي: الرّاوية الجزائرية نموذجا، عالم الكتب الحديث، د ط، 2009م، أربد الأردن، ص43.

[2]المرجع نفسه: ص48.

أنّه مجموعة من العلاقات التّي يمارسها نصّ، ولا سيما نصّ أدبي مع نصٍّ آخر أو مع نصوص أخرى، سواء على مستوى إبداعه،[1](وإما بالتلميح إليه وإما بمعارضته، الخ..) أوعلى مستوى قراءته وفهمه وذلك بالتّقريبات التّي يحدثها في القارئ"[2] وبما أن التّضمين جزء من التّناص فقد عرّفه رولان بارت بأنّه :" الطّريق المؤدّي إلى تعدّد معاني النّص polysemie" حين يقول: إنّه تحديد وعلاقة تكرار Anaphore وسمة تمتلك القدرة إلى تنويهات سابقة أو لاحقة أو خارجيّة، وإلى مواضع أخرى من النّص أو من نصّ آخر"،[3] في حين نجد أن حافظ مغربي في كتابه" أشكال التّناص وتحوّلات الخطاب الشعري " يقول لعلنا أدركنا أن مفهوم التّناص في النّقد الحداثي الغربي قد دار معظمه حول ملامح النصوص بين حاضر مؤقت وغائب حاضر، يستشرق آفاق التّلاثي مع أخرى في ضمير الغيب فيما تخبّئه قريحة المبدعين بما يتميّز من إنتاج وإعادة إنتاج".[4]

التّناص مع القرآن الكريم:

إستنادا إلى ما سبق من التّعريفات والمفاهيم لمصطلح التّناص يتبيّن أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم، في كتابه إلى هرقل قيصر الرّوم، إعتمد خاصّية أو ظاهرة التّناص ويتجلّى ذلك بوضوح في

---

[1]عبد المالك مرتاض: نظرية النّص الأدبي، دار هومة، د ط، 2007م، الجزائر، ص192.

[2]المرجع نفسه: ص193.

[3]مجموعة من الكتاب: مدخل الى مناهج النّقد الأدبي، ترجمة رضوان ظاظا، مراجعة: منصف الشنّوفي، عالم المعرفة، د ط، د ت، الكويت، ص189.

[4]حافظ مغربي: أشكال التنّاص وتحوّلات الخطاب الشّعري المعاصر، دراسات في تأويل النّصوص، مؤسّسة الإنتشار العربي، الطّبعة الأولى، 2010م، ص44.

قوله "**بسم الله الرّحمن الرّحيم، من محمّد رسول الله إلى هرقل عظيم الرّوم**"[1] فقد اقتبس النّبي صلّى الله عليه وسلّم من اللّوح المحفوظ ما يسمّى بالبسملة، "فبسم الله الرّحمن الرّحيم" آية من سورة الحمد وآية من أوائل كلِّ سورة في مذهب الشّافعي[2]، وهذا ما يدلّ على أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم، إستقى تراكيبه من نبع القرآن الكريم وأيضا قد ضمّن الرّسول عليه الصّلاة والسّلام آية من كلامه عزّ وجلّ في رسالته وهي الآية رقم 64 من سورة آل عمران النِّي يقول فيها الله عزّ وجلّ " **يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، ألاّ نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئا، ولا يتّخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولّوا فاشهدوا بأنّا مسلمون** "- **صدق الله العظيم**- وقد ختم بها الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، وذلك قصد إثبات قوله وإكسابه روح الإسلام من خلال توظيف آيات الذِّكر الحكيم الذِّي لو ذهبت تفلي كلام العرب من شعر شعرائهم ورجز رجّازهم، وخطب خطبائهم وحكمة حكمائهم وسجع كهّانهم من مضى منهم ومن غبر على أن تجد ألفاظا في غرابة تركيبها (النِّي هي صفة الوحي) كألفاظ القرآن على أن ترى لها معاني كهذه المعاني الإلهية النِّي تكسب الكلام غرابة أخرى يحسّ بها طبع المخلوق ويعتريه لها من الرّوعة ما يعتري من الفرق بين شيء إلهي وشيء إنساني"[3]، والملاحظ لهذه الرسالة أيضا يجد أنّ النّبي الكريم استعمل ألفاظا سهلة بسيطة استقاها من عين القرآن تجلت في الرّحمن الرّحيم، الإسلام، أدعوك

[1] أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب: ص38.

[2] ابن خالويه النّحوي: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم: ص21.

[3] مصطفى صادق الرّافعي: تاريخ أداب العرب، دار الكتب العلمية، الطّبعة الأولى، 1421هـ -2000م، بيروت -لبنان، ج1، ص200.

بدعاية، أسلم، وكلها كلمات لم تكن مألوفة في الجاهلية، التّي كانت لغتها تمتاز بالخشونة والتعقيد، فجاءت ألفاظه مهذبة بليغة بلاغة كلام الله المعجز، "فالقرآن كتاب دل على صدق متحّمله، ورسالة دلّت على صحّة قول المرسل بها، وبرهان شهد له برهان الأنبياء المتقدّمين وبيِّنة على طريقة من سلف الأوّلين"،[1]وبالتّالي يبدو التّناص في هذه الرّسالة بجميع مستوياته عنصرا توجيهيا وخطّة إقناعية بمضامين الرّسالة، وكانت كتابة النّبي صلّى الله عليه وسلّم للرِّسالة أنموذجا لكتابة فنِّ الرِّسائل حيث سنّ طريقة واضحة بيِّنة بأسلوب راق وعظيم، يتخلّله أسلوب المولى الحكيم لمن بعده في كتابة فنِّ الرّسالة الذِّي بلغ من الفصاحة والبلاغة مبلغا لم يصل إليه شاعر ولا خطيب قبله وبعده .

السّرد:

مفهومه:

جاءت كلمة السّرد في القرآن الكريم في قوله **عزّ وجلّ:** "**أن اعمل سابغات وقدّر في السّرد واعملوا صالحا إنِّي بما تعملون بصير**".

فالسّرد هو الحكي ويقوم على دعامتين:

أوّلهما: أن يحتوي على قصّة ما تضمّ أحداثا معيّنة، وثانيهما: أن يعيِّن الطّريقة التِّي تحكى بها تلك القصّة وتسمّى هذه الطّريقة سردا ذلك أنّ قصّة واحدة يمكن أن تحكى بطرق متعدِّدة، ولهذا فإنّ السّرد هو الذّي يعتمد عليه في تمييز أنماط الحكي بشكل أساسي.

[1]الباقلاّني: إعجاز القرآن الكريم: ص303.

إنّ كون الحكي هو بالضّرورة قصّة محكية يفترض وجود شخص يحكي وشخص يحكى له أي وجود تواصل بين طرف أوّل يدعى راويا أو ساردا،[1] (للشّخص الذّي يقوم بالسّرد والذّي يكون شاخصا في السّرد وهناك على الأقل سارد واحد لكلّ سرد ماثل في مستوى الحكي نفسه مع المسرود له الذّي تلقّى كلامه)،[2] وطرف ثان يدعى مرويا له أو قارئا.

ويمكن أن نجسّد ذلك في رسالة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، إلى هرقل عظيم الرّوم:

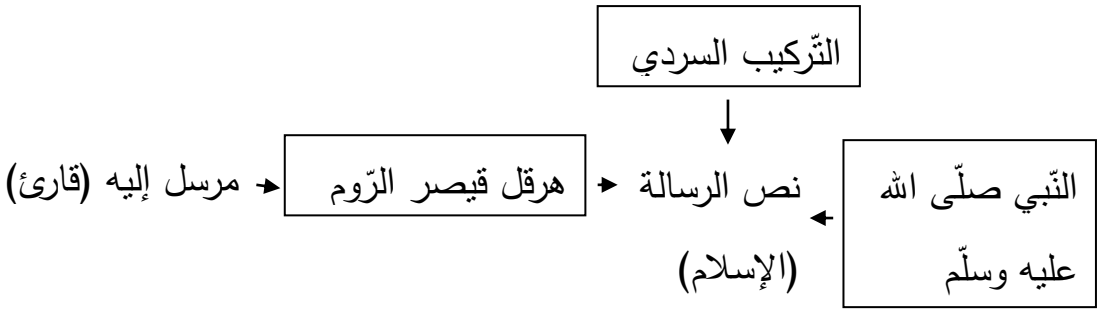

والسّرد هو الكيفية التّي تروى بها القصّة عن طريق هذه القناة نفسها وما تخضع له من مؤثّرات بعضها متعلّق بالراوي والمروي له والبعض الآخر متعلّق بالقصّة ذاتها، [3]وقد شكّل السّرد في الرّسالة النّبوية باستعماله صلّى الله عليه وسلّم أهم أشكال السّرد التّي سنحاول توضيحها كما يلي:1-القصة: فالقصّة سواء كانت قصيرة أو طويلة موجودة عند كلّ الشّعوب دون إستثناء وأنواعها كثيرة في العالم لا يمكن حصرها إذ لا يوجد شعب لا في الماضي ولا في الحاضر، ولا

[1] حميد لحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي المركز الثقلفي العربي الطبعة الثالثة 2000م الدار البيضاء ص45.

[2] جيرالد برنس: المصطلح السّردي، ترجمة: خراندار، مراجعة: محمد بريري، المجلس الأعلى للثّقافة، الطّبعة الأولى، 2003م، القاهرة، ص 158.

[3] حميد لحميداني: مرجع سابق: ص45.

في اي مكان من غير قصة، ولا يوجد مكتوب مهما كان جنسه ونوعه يخلو من سرد على نحوها.[1] وتتمثّل القصّة في رسالة النّبي صلّى الله عليه وسلّم، من خلال تقديمه لنا موقفا صارما وحاسما ألبسه لغة الخطاب، في إشارة واضحة إلى استهداف مخاطبته وذلك لإستمالتهم وللبرهنة على صدق المساعر وصحة العقيدة وفي ذلك يقول:"جيمس" إن الحياة فضاء واسع مضيع، يقف الشارد وسطه لينتخب ما يمكن أن يفسر به الحياة، ويهدي به السبيل..."[2] فأي خطاب سردي منسجم هو في النهاية نتاج العملية الفنية الأولى الخاضعة للوحدات الثلاث: البداية الوسط والنّهاية التّي تشكل قوام أي نص سردي أو حكائي محبوك.

1- **الحبكة**:

هي سلسلة الحوادث التي تجري فيها القصة، مرتبطة عادة برابط النسبية[3] وتتجلى الحبكة في الرّسالة النبويةعلى قدرة النّبي صلّى الله عليه وسلّم في نسج كلامه من خلال الكلمات والعبارات التي وظفها ببراعة وذلك في قوله:" **إني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يؤتك أجرك مرتين**"[4]، وهي الحقيقة التي يؤكدها الخطاب السّردي، فقد جاء الراهن والمستقبل للقضاء على الماضي ومخلفاته الوخيمة التّي تتراءى في الظّلمات التّي يعيشها الكّفار فهذه العبارة هي منظر من مظاهر التحول الجذري في حياة هؤلاء (المتلقّي بالدّرجة الأولى).

[1] بوقرومةحكيمة: منطق السرد في صورة الكهف، ديوان المطبوعات الجاهلية الطبعة 4، 2011-ص20.
[2] محمد يوسف نجم: فنّ القصة، دار صادر، الطبعة الأولى 1996 م، بيروت، ص10.
[3] المرجع نفسه، ص53.
[4] أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب، ص38.

2- **الصّيغة السردية:**

وإذا كانت الرؤية هي الطريقة التي من خلالها يدرك الشارد ما يرويه، فإن الصّيغة بأبسط مفاهيمها تشير إلى طريقة الإرسال أي كيف يقدم لنا السّارد المادة، وهذه المسألة نوقشت منذ أرسطو، حيث يتم الحديث عن طريقتين هما: العرض والإخبار وقد عمد النّبي صلّى الله عليه وسلّم هذه التّقنية السّردية حيث صاغ رسالته بعبارة البسملة التّي تعد سمة فنّية وفكرية، وقد افتتح بها رسالته ونجدها ارتبطت بفكرة التّوحيد والشّكر والثّناء وقد جاءت قصيرة [1]. لعرض كلامه وبدئه ثم قال:" **من محمد عبد اله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى**"[2] وفي هذه الجملة نجد أن النبي صلى الله عليه وسلّم، في مقام عرض وسرد من خلال هذه العبارة التي توحي بالإخبار، وسلام على من إتّبع الهدى هي عبارة اكتفى بها النّبي صلّى الله عليه وسلّم لإقناع المروي له، لأن المشركين كانوا مقتنعين بالمصالح الشّخصية، والعناد في رفض الدّعوة ولذلك جاءت صيغته السّردية في خطاب مباشر ابتعد عن التّعقيد والغموض، فقد جاء كلامه مسترسلا واضحا .

3- **الحوار:**

يعدّ الحوار نمطا من أنماط التعبير الفني وعنصرا هاما يشترك مع السّرد والوصف في بناء النّص الروائي إذ يشكل الحوار" جزءا فنيا من كيان أدبي تتوافر فيه العناصر الأدبية المتكاملة

[1] محمد علي الشوابكة: البنية والدلالة منشورات أمانة عمان الكبرى، د. ط ،2006 عمان، ص 135.

[2] أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب: ص38.

التّي تجعل من ذلك الكيان اللفظي أدبا وليس شيئا آخر[1] فالحوار إذا ذو أهمية كبيرة يؤدّي توظيفه إلى تطوير الحدث والإبلاغ عنه، حيث ينقسم إلى قسمين:

1-الحوار الخارجي (الدبالوج): وهو حوار تتناوب فيه شخصيتان أو أكثر الحديث في إطار المشهد داخل العمل القصصي بطريقة مباشرة "[2].

2-الحوار الدّاخلي (المنولوج): وهو حوار يجري داخل الشّخصية، ومجاله النّفس أو باطن الشّخصية ويقدّم هذا النّوع من الحوار المحتوى النّفسي والعمليات النّفسية في المستويات المختلفة للإنضباط الواعي أي لتقدير الوعي "[3]، دون أن تجهر به الشخصيات في كلام ملفوظ، دون أن تلتزم بالتّرتيب النّحوي والمنطقي للكلام وقد شاع هذا النّمط من الحوار في الرّسالة وقد ظهر ذلك جليا في التّداخل بين الضمائر وسيطرة ضمير الغائب على المشهد الحواري ونلمس ذلك من بداية الرّسالة وحتى نهايتها فقد وجه النّبي صلّى الله عليه وّسلم، خطابه إلى هرقل، ولكنّه قد يوجّهه إلى غيره وهم أتباعه وذلك في قوله:"**أسلم ، تسلم ،أسلم يؤتك أجرك مرّتين...يأهل الكتاب تعالوا...**"[4]

وقد يؤكد النّبي صلّى الله عليه وسلّم، نسبة الفعل(الأمر) بالضّمير الغائب أنت العائد إليه، واضعا المخاطب في مواجهة مع ذاته ملاحقا إيّاه بضمير الغائب: أنتم" ليرغمه على التّوحيد

[1] هيام شعبان: السرد الروائي في أعمال ابراهيم نصر الله، دار الكندي د.ط،2004، الأردن، ص212.

[2] المرجع نفسه: ص214.

[3] المرجع نفسه ص 220- 221.

[4] احمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب، ص38.

والعبادة، فالمعنى المباشر كان يمكن أن يكتفي بالجملة الشرطية–أسلم، تسلم–لكن تلك الإضافة جاءت لإلزام اليهود بنسبة الفعل أسلم، وأكّد التّأكيد: بمناداته " يأهل الكتاب "

4- **القصد**:

" فهو النّقطة الأساسية أو السّبب المبرّر لوجود السّرد والذّي من أجله يحكى "[1]وكان القصد الذّي تخلّلته الرّسالة النّبوية في قوله: "**ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا، ولا يتّخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فاشهدوا بأنّا مسلمون**"[2] ،وكان هدفه من هذا الكلام نشر دعوته في أرجاء بعيدة عن أجواء قريش ومكّة وأيضا استكمال دعوته للإسلام وذلك باللّجوء إلى أسلوب الإقناع حينا والتّهديد حينا آخر وفي هذا المقام يقول مصطفى صادق الرّافعي في كتابه "إعجاز القرآن الكريم ": "وأمّا القصد فذلك ممّا امتازت به البلاغة النّبوية حتى ما يمكن أن يعطيه إمرؤ حظّه من التأمل إلا أعطاه حظّ نفسه من العجب"[3]

كما نجد أنّ الرّسالة تقوم على اقتباس من القرآن الكريم ولذلك لتعزيز الفكرة المعبرة عن الموقف الذي يريد أن يكسب به ودّ اليهود ليؤمنوا به ويقتنعوا بالدّعوة الإسلاميّة.

[1] جبرالد برنس: المصطلح السردي، ص179.

[2] أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب: ص38- 39.

[3]: مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية، ص339.

الخاتمة

جرت العادة –في البحوث العلمية والأكاديمية–أن يعرّج الباحث على ذكر أهمّ النّتائج التّي توصّل إليها من خلال بحثه، وهذا تلخيص لأهمّ ما توصلنا إليه في هذه المذكرة المتواضعة:

1– أنّ النّثر الفنّي وخاصّة الرّسالة، يمثّل صورة كاملة بلغت من النّضج والرّقي ذروتها، فكانت الرّسالة تمتصّمعانيها من مشارب مختلفة، وبذلك تتخطّى معناها اللّغوي (الإسترسال) لتشمل خصائص اللّغة التّي لا تنفكّ عنها في مختلف وحداتها، حيث أصبحت صناعة ذات قواعد وأصول.

2– أنّ رسالة النّبي صلّى الله عليه وسلّم، نصّ "خطابي مباشر، وهي نموذج أعلى للنّص النّثري في حقبة الإسلام، حيث عدّت تشريعا ونصّ من المصطفى، تحمل في طيّاتها رسالة النّبي الكريم إلى كافّة الأمّة الإسلامية متضمّنة كلّ تعاليم الإسلام.

3– من ترسل النّبي صلّى الله عليه وسلّم، ندرك أن للرّسالة مستويات جمالية وفنّية تمثّلت بجلاء في الإستعارة والمجاز اللّذان تركا بصمة قويّة من حيث الجماليّة والإقناع في النّص الخطابي.

4– وعن اللّغة: يكشف البحث بعض خصائصها، فتميّزت بالسّهولة والدّقة في التعبير، وبلاغة الألفاظ والبراعة، وذلك من خلال أسلوبية التّقديم والتّأخير في التّركيب، وأيضا خروج الأساليب الإنشائية إلى أغراض بلاغية كالأمر الذّي يوحي إلى الوجوب والإلتزام، والنّهي الذّي يدلّ على المنع والتّرغيب والتّرهيب، والتّي عبّرت عن دلالات أسلوبية واضحة.

5- أنّ للدّراسة الصّوتية أهميّة بالغة، فيها يعرف الدّارس مخارج الحروف وصفاتها وتسميتها إلى طوائف، كالحروف المهموسة والمجهورة، وأنّ بعض الأصوات ليست حروف كما يظنّ البعض كالألف والياء والواو (حروف اللّين)، كما أنّ من أسباب كثرة المترادفات في اللّغة العربية التّناسب في مخارج بعض الحروف.

6- أنّ طبيعة الإقناع في الرّسالة إعتمدت على التّناص من القرآن الكريم، مثل تضمينه صلّى الله عليه وسلّم، الآية رقم64 من سورة آل عمران، فكانت مفتاحا لفهم المذهب والدّفاع عنه، والتّعبير بالإبداع وهذا ما خدم الرّسالة.

7- كانت البنية السردية للرّسالة واضحة، وذلك من خلال تجلّي الحوار والصّيغة السّردية التّي عمدت إلى توصيل الخطاب إلى أبعد الحدود.

8- ويبقى موضوع الرّسالة موضوعا خصبا، وعليه لا يزال باب البحث مفتوحا لكل من أراد الإضافة من زاوية أخرى، وهذا ما كان منّا فإن أصبنا فمن الله –وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان.

والحمد الله ربّ العالمين

ملحق

كتابه صلّى الله عليه وسلّم إلى هرقل ملك الروم:

وبعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم دحية بن خليفة الكلبي، إلى هرقل عظيم الروم سنة ستّ بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام، ونسخته:

بسم الله الرّحمن الرّحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من إتّبع الهدى، أمّا بعد: فإنّي أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرّتين، فإن تولّيت فإنّما عليك إثم الأريسيّين، و"يا أهل الكتاب تعالو إلي كلمة سواء بيننا وبينكم، ألاّ نعبد إلاّ الله، ولا نشرك به شيئا، ولا يتّخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولّوا فقولو اشهدوا بأنّا مسلمون".[1]

1 أحمد زكي صفوة: جمهرة رسائل العرب، ص38-39

قائمة المصادر

والمراجع

- **القرآن الكريم**

المصادر:

1- الفتح أبو عثمان بن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب المغربي، د.ط، بيروت، ج2.

2- فضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار مكتبةالحياة، بيروت، لبنان، المجلد الثاني.

3- عباس أحمد القشندي: صبح الأعشى، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1340هـ-1922م.

4- بكر محمد بن الطيب الباقلاني: إعجاز القرآن: تحقيق السيد أحمد صفر، دار المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، د.ط، مصر.

5- جعفر محمد بن جرير الطبري: تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى، 1422هـ-2001م، ج5.

6- عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين: تحقيق وشرح عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة السابعة، 1418هـ-1998م، القاهرة.

7- عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، 1384هـ-1964م.

8- عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد: تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1402هـ-1982م، ج1.

9- عمرو يوسف بن عبد البر الغمري القرطبي الأندلسي: مختصر جامع بيان العلم وفضيلته وما ينبغي في روايته وجمله: تحقيق: حسن إسماعيل عروة، دارالخير، الطبعة الأولى، 1413هـ-1992م.

10- أحمد زكي صفوة: جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، العصر الجاهلي، عصر صدر الإسلام ،المكتبة العربية، بيروت، لبنان، 1356هـ-1937م.

11- الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل: تحقيق وتعليق: محمد مرسي عامر، دار المصحف، الطبعة الأولى، 1397هـ-1977م، ج1، ص179.

12- تقي الدين أحمد بن علي المقريزي: إمناع الأسماع بما للنّبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النمشي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى،1420هـ-1999م.

13- جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، مراجعة: شوقي ضيف، دار الهلال، طبعة جديدة، ج1، ص196.

14- الحافظ عماد الدين ابن كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرآن الكريم، دار الأندلس، الطبعة الثالثة: 1401هـ-1981م، ج2، ص53.

15- شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب تحقيق: علي محمد هاشم وعبد المجيد ترجني، دار الكتب العلمية، الطبعة أولى، 1424هـ-2004م، ج17.

16- عائشة عبد الرحمن-بنت الشاطيء- مع مصطفى عليه الصلاة والسلام، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، 1400هـ-1980م، بيروت، لبنان.

17- الرحمن بن خلدون: المقدمة، تحقيق: حامد أحمد طاهر، دار الفجر للتراث، الطبعة الأولى: 1425هـ-2004م، القاهرة.

18- القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، إعتنى به محمد فاضلي أبحاث للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى2007، الجزائر، ص39.

19- القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني: تصحيح وتعليق، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، د.ط، 1402هـ-1981م، بيروت، لبنان، ص53.

20- محمد بن سعد بن منيع الزهري: كتاب الطبقات الكبير، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، الطبعة الأظلى، 1421هـ-2001م، ج1، القاهرة.

21- محي الدين الدرويش: إعراب القرآن الكريم وبيانه، اليمامة، للنشر والتوزيع، الطبعة السابعة، 1420هـ-1999م، دمشق، المجلد الأول.

22- مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، الطبعة الثامنة، 1425هـ-2005م، بيروت، ج1.

23- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1421هـ-2000م، بيروت، لبنان، ج1، ص200.

24- هبة الله بن علي الحسن العلوي: أمالي ابن شجري، تحقيق ودراسة: محمد محمود الطناجي، مكتبة الخناجي، الطبعة الأولى، 1413هـ-1992م، القاهرة، ج1، ص44.

25- يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني: الطّراز، المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مكتبة المعارف، د.ط، 1400هـ-1980م، بيروت، لبنان، ج1، ص63.

المراجع:

26- إبتسام مرهون الصفار: الأمالي في الأدب الإسلامي، دار المناهج للنشر والتوزيع، 1426هـ-2006م، عمان، الأردن.

27- ابن أثير: الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة 1400هـ-1980م، ج3.

28- خالويه النحوي: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، دار الهدى، د.ط، د.ت، عيم مليلة، الجزائر، ص19.

29- أعلى المودودي: مبادئ الإسلام، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، 1402هـ-1982م، بيروت.

30- أحمد أحمد بدوي: أسس النقد الأدبي عند العرب، نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة السابعة، 2003-2004م، مصر.

31- أحمد الهاشمي: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة تسعة وعشرون، 1403هـ-1983م.

32- أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان، تحقيق: حسن حمد، دار الجيل، د.ط، د.ت، بيروت، ص184.

33- أحمد الهاشمي: مختار الأحاديث النبوية والحكم المحمدية، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية عشر، بيروت، لبنان.

34- أحمد أمين: فجر الإسلام: كلمات عربية للترجمة والنشر، د.ط، القاهرة.

35- أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، دار المعرفة، الطبعة الثامنة، 1425هـ-2004، بيروت.

36- أحمد حمد النعيمي: إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، دار الفارس للنشر والتوزيع، الطبعة السابعة:1420هـ-1999م، دمشق، المجلد الأول.

37- أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة، البيان والمعاني والبديع، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى، 1420هـ-2000م، القاهرة .

38- أسعد أحمد علي: تفسير الحديث النّبوي في دروس عصرية، دار الرائد العربي، الطبعة الأولى: 1399هـ1979م، بيروت.

39- الإمام النووي: رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، قدمه إبراهيم قلاتي، دار الهدى، 2001م، عين مليلة، الجزائر.

40- أنيس المقدسي: تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، دار العلم للملايين، الطبعة السادسة، 1979م، بيروت، لبنان.

41- إيمان بقاعي: معجم الإعراب، دار المدار الثقافية، الطبعة الأولى، 1429هـ-2009م، البليدة، ج1، ص105.

42- بوقرومة حكيمة: منطق السرد في سورة الكهف، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الأولى، 1996م، بيروت.

43- تقي الدين بن تيمية: حكام الأخلاق: نحقيق وإعداد: عبد الله بدران، محمد عمر الحاج، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

44- الحافظ بن حجر العسقلاني: بلوغ المرام من أدلة الإحكام، دار النهضة للطباعة والنشر، د.ط، د.ت.

45- حسن عبد الجليل يوسف: الأدب الجاهلي، قضايا، فنون، نصوص، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1424هـ-2003م.

46- حميد لحميداني: بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة، 2000م، الدار البيضاء.

47- حنا الفاخوري: الموجز في الأدب العربي وتاريخه، الأدب العربي القديم، دار الجيل، الطبعة الثالثة، 1424هـ-2003م، بيروت، المجلد الأول.

48- رابح بحوش: اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري: دار العلوم للنشر والتوزيع، د.ط، 2006، عنابة، الجزائر، ص44.

49- رمضان الصباغ: عناصر العمل الفني، دراسة جمالية، دار الوفاء، د.ط، د.ت، الإسكندري.

50- سالم المعوش: القواعد المعرفية الإسلامية في الأدب صدر الإسلام، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1422هـ-2000م.

51- صالح بن إبراهيم الحسين: الكتابة العربية من النقوش إلى الكتاب المخصوص، دار الفيصل الثقافية، 1424هـ-2003م، الرياض.

52- صفي الرحمن المباركي: الرحيق المختوم، بحث في السيرة النبوية، دار الفكر، د.ط، بيروت، لبنان.

53- سلام هارون: تهذيب سيرة ابن هشام، دار البحوث العلمية، الطبعة الخامسة عشر، 1406هـ-1986م، الكويت.

54- عزيز عتيق: عالم البلاغة العربية، دار النهضة العربية، د.ط، د.ت، بيروت، لبنان.

55- عزيز عتيق: علم العروض والقافية، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى، 1424هـ-2004م، القاهرة.

56- قادر عبد الجليل: الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، دار صفاء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1422هـ-2002م، عمان.

57- كريم غلاب، تاريخ الإسلام، الطبعة الثالثة.

58- الوظاف، أحمد سلامة، عبد المجيد الزنداني، فيصل عبد العزيز، حزام البهلولي، توحيد عبد الحميد: كتاب الإيمان، دار القلم، الطبعة الأولى، 1982م، بيروت، لبنان.

59- المالك بومنجل: النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، بيت الحكمة، الطبعة الأولى، جوان2009.

60- عبده عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، إخراج: حسام حسين أنيس، الطبعة الرابع، د.ت، القاهرة، ج1، ص152-153.

61- عثمان موافي: في نظرية الأدب –من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم، دار المعرفة الجامعية، 2000، ج1.

62- عزيز السيد جاسم: محمد الحقيقة العظمى، دار الأندلس، الطبعة الأولى، 1407هـ1887م، بيروت، لبنان.

63- عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأولية، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة،1981م، بيروت، ج1.

64- غازي طليمات، عرفان الأشقز: الأدب الجاهلي: قضاياه، أغراضه، فنونه، أعلامه، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 2001م.

65- فتحي رضوان: الإسلام والمسلمون، دار الشروق، 1402هـ-1982م. بيروت.

66- فوزي شعبان: الأحاديث القدسية، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، 1424هـ-2003م، بيروت، لبنان.

67- محمد السيد السابق: فقه السنة، دار الفتح للإعلام الرعبي، الطبعة الأولى، 1421هـ-2000م، مصر، القاهرة، ج1.

68- محمد الفاسي، عمر الدسوفي، محمد صادف عفيفي: الأدب والنصوص مكتبة الرشاد، ج5.

69- محمد بن عبد الوهاب: مختصر زاد المبعاد للإمام ابن القيم الجوزية، دار الهدى، الطبعة الثالثة، 1409هـ-1989م.

70- محمد جمال الدين القاسمي: هو عظمة المؤمنين من إحياء علوم الدين، دار النضائس، د.ط، 1400هـ-1980م، دمشق.

71- محمد حضرمي بك: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، تحقيق: محمد الدين الجراح، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان.

72- محمد خان: لغة القرآن الكريم: دراسة لسانية تطبيقية للجملة في سورة البقرة، دار الهدى، الطبعة الأولى، 2004، عين مليلة، الجزائر، ص15.

73- محمد عبد المنعم الخفاجي: الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الثانية، 1980، بيروت.

74- محمد عبد المنعم خفاجي: عبد العزيز شرف: البلاغة العربية بين التقليد والتجديد، دار الجيل، الطبعة الأولى، 1412هـ-1992م، بيروت، ص152.

75- محمد علي الشوابكة: البنية والدلالة: منشورات أمانة عمان البري، د.ط، 2006، عمان.

76- مصطفى الشكعة: الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى،1414هـ-1993م.

77- مصطفى نعمان البدوي: الرافعي الكاتب، بين المحافظة والتجديد، دار الجيل، الطبعة الأولى، بيروت، 1411هـ-1991م.

78- منذر عياشي: الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ص20.

79- نصر الدّين أسد: مصادر الشّعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار المعارف، الطبعة الخامسة، القاهرة.

80- هيام شعبان: السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، دار الكندي د.ط، 2004م، الأردن.

81- يوسف القرضاوي: فقه الزكاة دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة، فقه السّنة للنشر والتوزيع، الطّبعة السابعة، 1404هـ-1984م.

معاجم:

82- ابن منظور: إعداد وتصنيف يوسف خياط: لسان العرب المحيط، المجلد الأول، دار لسان العرب، بيروت.

83- أبي الحسين أحمد فارس بن زكريا: مقاييس اللّغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، المجلد الثاني، د.ط، دار الجيل، بيروت.

84- المعجم الوجيز: طبعة خاصة لوزارة التربية والتعليم، 1415هـ-1994م.

85- المعجم الوسيط: مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، 1425هـ-2004م.

مراجع مترجمة:

86- جون ستروبك: البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا، ترجمة محمد عصفور، عالم المعرفة، د.ط، 1996، ص192.

87- جيرالد برنس: المصطلح السردي ترجمة خراندار، مراجعة: محمد بربري، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، 2003، القاهرة.

88- مجموعة من الكتاب: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي: ترجمة رضوان ظاظا، مراجعة، منصف الشنوقي، عالم المعرفة، د.ط، د.ت، الكويت.

الأطروحات:

-آمنة مالك: الحروف العربيّة: دراسة لغويّة صوتيّة: بحث مقدّم لنيل درجة الماجستير في فقه اللّغة العربيّة، جامعة قسنطينة، 1402هـ-1982م، ص54.

-رزيقة طاوطاو: البنية الحواريّة في الخطاب القرآني: مقاربة أسلوبيّة على السّور المكّية، بحث مقدّم لنيل شهادة دكتوراه العلوم في شعبة الأدب، 1431هـ-2010م، ص312.

– مريم سعداوي، ريمة حمّادي: الأغراض البلاغيّة لأسلوبي الأمر والنّهي، مذكّرة معدّة استكمالا لمتطلّبات نيل شهادة الماستر، تخصّص علوم اللّسان، جامعة منتوري، قسنطينة، ماي2012م، ص7–8.

الفهرس

مقدمة:..... أ

مدخل: الرسالة ماهيتها– مظاهرها– أنواعها– تطورها– جماليتها .... Erreur ! Signet non défini.

تعريف الرّسالة:..... 5

الرِّسالة بين الجاهليّة والإسلام..... 8

الرِّسالة في العصر الجاهلي:..... 8

مالرّسالة في العصر الإسلامي:..... 11

أنواع الرِّسالة:..... 15

الرّسائل الأدبية:..... 17

الرّسائل الإخوانية:..... 18

الرّسائل الوعظية:..... 19

كتابة الرّسائل وتطوّرها:..... 20

الرّسالة ودورها:..... 22

الصّفة الجمالية للرّسالة النّبوية:..... 23

الفصل الأول: الوظيفة التبليغية لرسالة النبي صلّى الله عليه وسلّم..... 27

رسالة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر:..... 29

رسالة النّبي عليه الصّلاة والسّلام في الجهاد:..... 32

رسالة النبيّ عليه الصّلاة والسّلام في العبادات:..... 42

الفصل الثاني: الوظيفة الجمالية لرسالة النبي صلى الله عليه وسلم..... 53

الصّورة الفنّية في الرّسالة:.....54
أوّلا–الإستعارة:.....55
–الإستعارة المكنية:.....56
ثانيا – المجاز:.....57
أوّلا –بناء الجملة الإسمية والفعلية:.....51
1–الجملة الفعلية:.....65
ثانيا: التركيب الإنشائي في الرّسالة:.....69
ثالثا –التّقديم والتّأخير:.....75
البنية الإيقاعية.....78
أوّلا:الجناس.....79
ثانيا –الجهر والهمس:.....82
أوّلا –الأصوات المجهورة.....83
ثانيا: الأصوات المهموسة.....84
ثالثا: التّكرار.....88
التّناص:.....92
السّرد:.....95
مفهومه:.....95
1–الحبكة:.....97
2–الصّيغة السردية:.....98

3-الحوار:.....98

4-القصد:.....100

خاتمة:.....101

ملحق :..... 104

قائمة المصادروالمراجع.....106

الفهرس..... 118

الملخص

المذكرة الموسومة : "برسائل النّبي صلّى الله عليه وسلّم- بين الوظيفة التّبليغية والوظيفة الجمالية "- دراسة أسلوبيّة، رسالته إلى هرقل قيصر الروم أنموذجا .

لنصل في النّهاية إلى أهمّ النّتائج المحصّل عليها من خلال هذا العمل المتواضع:

-أنّ رسالة النّبي صلّى الله عليه وسلّم، نصّ خطابيّ مباشر، وهي نموذج أعلى للنّص النّثري في حقبة الإسلام، حيث عدّت تشريعا و نصّا من المصطفى، تحمل في طيّاتها رسالة من النّبيّ الكريم إلى كافّة الأمّة الإسلامية متضمّنة كلّ تعاليم الإسلام.

- من ترسّل المصطفى ندرك أنّ للرّسالة مستويات جماليّة وفنّية.

- أنّ للدّراسة الصوتية أهمية بالغة، فيها يعرف الدّارس مخارج الحروف وصفاتها و تسمياتها إلى طوائف، كالحروف المهموسة والمجهورة.

-أنّ طبيعة الإقناع إعتمدت على الاقتباس من القرآن الكريم [الآية 64 من سورة آل عمران]

الكلمات المفتاحيّة: النّثر، العصر الإسلامي، الرّسالة، النّبي صلّى الله عليه وسلّم، الجهر والهمس، التّناص ...